ردّ العسف والبهتان

عن

كتاب أصدق ما كان

بقلم

الفيكنت فيليب دي طرّازي
مؤسّس دار الكتب اللبنانيّة
والعضو في عدّة مجامع علميّة شرقيّة وغربيّة

وهو

المجلّد الثالث

لكتاب

أصدق ما كان عن تاريخ لبنان

وصفحة من أخبار السّريان

شركه مار منصور وعلى المحسنين اليها وعلى طلبة مدارسها في اثناء رئاسة المؤلف على تلك الشركة .

٢٥ – سلافة الالباء في مراسلات العظماء والادباء . (ثلاثة مجلدات) احتوت رسائــــل تبودلت بين المؤلف وبين العظماء والعلماء والمستشرقين وهي مكتوبة بخطوطهم ومذيّلة بتواقيعهم .

٢٦ – ذكرياتي : هي مجموعة نفيسة من ذكريات المؤلف مدة قرن كامل دونها تباعاً ورتّبها ترتيباً يروق المطالعين ويفيد المؤرخين وضمّنها احاديث طريفة ونوادر ظريفة من كل فن وخبر .

٢٧ – مجموعة صحافية فريدة لا مثيل لها في العالم جمعهـا المؤلف من جميع الاقطار شرقاً وغرباً . وهي تحتوي على العدد الاول من كل جريدة ومجلة مطبوعة بحروف شرقية . يربو عدد صحف هذه المجموعة على سبعة الآف واربعمائة .

٢٨ – خطوط مشاهـير العرب مذيلة بتواقيعهم من سلاطين وملوك وامراء ووزراء وعظماء وعلمـاء وشعراء ورؤساء الدين وشهيرات النساء جمعها المؤلف في عدّة مجلدات ضخمة .

ولادتهم ووفياتهم و كهنوتهم واسقفيتهم وبطريركيتهم وتأييدهم البابوي وفرمانهم السلطاني وشعارهم الشخصي. واضاف الى كل ذلك مآثرهم العلمية والدينية والوطنية.

١٣ – البراءات البابوية : وهي مجموعة المراسيم الممنوحة من البابوات لبطاركة السريان لاتينياً وعربياً.

١٤ – كتاب «الفرامين والبراءات السلطانية» الممنوحة من سلاطين آل عثمان لبطاركة السريان الكاثوليك. جمعت ونقلت من اللسان التركي الى اللسان العربي.

١٥ – فهارس لكل الجرائد والمجلات الشرقية التي ظهرت في العالم باللغات السريانية والعبرانية والحبشية والارمنية والفارسية والتركية واليونانية والاردوية والتترية والكردية.

١٦ – شجرات نسبية لبعض الاسر الشرقية

١٧ – نبذ تاريخية عن بعض اسر اسلامية ونصرانية

١٨ – كشف المخبآت عن سارقي الكتب واعداء المكتبات

١٩ – قطر الندى في ردّ الصدى (١) ضم اليه القصائد ورسائل الثناء التي وردت تقريظاً لكتاب القلادة النفيسة.

٢٠ – مجموعة التقارير العلمية والاثرية التي قدمها الى المجامع العلمية في اوربا والشرق.

٢١ – نبذة عنوانها «داود القرم اول استاذ لبناني في فن الرسم» وهي تحتوي على خلاصة آثاره ومآثره.

٢٢ – مخطوطات دير الشرفة في سبعة وعشرين مجلداً ضخماً جمع فيها مع الخوري اسحق ارملة طائفة من الوثائق والصكوك والرسائل القديمة المكنوزة في خزائن الدير المشار اليه.

٢٣ – مقالات ومحاضرات ومساجلات في مواضيع شتى.

٢٤ – جريدة «الباكورة» انشئت عام ١٩٠٤ وكانت توزع مجاناً على اعضاء

(١) فهرس مخطوطات دير الشرفة ١٣ – ٤١ صفحة ٤٦٤

١٥ – ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب (عربي وافرنجي)

١٦ – خزائن الكتب العربية في الخافقين (ثلاث مجلدات)

١٧ – اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان في ثلاثة مجلدات

١٨ – شذرات نشرت في تاريخ « لبنان » الذي طبعته متصرفية جبل لبنان في اثناء الحرب الكبرى (١٩١٤ – ١٩١٨ –) بمعاونة بعض العلماء .

اما التآليف الغير المطبوعة او المعدة للطبع فهذه اسماؤها :

١ – ترويح الانفس في ربوع الاندلس

٢ – مشاهير السياح والسائحات من الاندلس الى المشرق ومن المشرق الى الاندلس

٣ – تاريخ نابوليون الاول

٤ – تاريخ الدولة المصرية في عهد السلالة المحمدية العلوية

٥ – صنّاجة الطرب في رياض الخُطَب

٦ – التحفة في تاريخ الشرفة

٧ – ديوان نفحة الطيب

٨ – الجوهر الصافي في ابدع القصائد المشتركة القوافي

٩ – الآثار الذهبية لشركة مار منصور الخيرية (جمع فيها اهم صكوكها الرسمية واغلب الخطب والتقارير التي تليت في حفلاتها الكبرى) .

١٠ – سلسلة تاريخية لرؤساء شركة مار منصور ونواب رئاستها وجميع موظفيها في بيروت منذ عام ١٨٦٠ .

١١ – شجرة تاريخية لسلاسل بطاركة انطاكية من عهد الرسول بطرس الى الزمان الحاضر عند جميع الطوائف .

١٢ – جدول عام لبطاركة السريان الكاثوليك ضم اليه انسابهم العصبية وتواريخ

مؤلفات واضع هذا الكتاب

١ – القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة . وهو كتاب فريد في بابه ضمنه ترجمة العلامة اقليميس يوسف داود مطران دمشق (١٨٧٩ – ١٨٩٠) وأردفها بمراثي ذلك الحبر النبيل في ٢٠ لغة شرقية وغربية .

٢ – تاريخ الصحافة العربية « مصور » في اثني عشر مجلداً . نشر منها اربعة مجلدات نُقل بعضها الى اللغة الانكليزية والالمانية

٣ – السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية « مصور »

٤ – ديوان قرة العين . يتضمن زهاء ثلاثة آلاف بيت شعر في شتى المواضيع

٥ – نبذة مختصرة في الصحف العربية المصورة

٦ – عصر العرب الذهبي

٧ – بحث تاريخي علمي اثري عن القرآن

٨ – علاقات ملوك فرنسا بملوك العرب

٩ – المخطوطات المصورة والمزوقة عند العرب

١٠ – اللغة العربية في اوربا (ثروتها ومكانتها)

١١ – عصر السريان الذهبي

١٢ – خلاصة اعمال شركة القديس منصور منذ نشأتها حتى السنة ١٩٠٦

١٣ – الرأي الامين في حل بعض المشاكل الزواجية عند الشرقيين بقلم المطران انطون قندلفت نقله المؤلف الى اللغة الفرنسية

١٤ – تأسيس دار الكتب الكبرى في بيروت

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس كتاب

رد العسف والبهتان

عن

كتاب اصدق ما كان

رسالة

سيادة مار اثناسيوس توما قصير رئيس طائفة
السريان الارثوذكس في الموصل

حضرة العلامة الفاضل الفيكنت فيليب دي طرازي المحترم

« بعد اهدائنا اليكم اوفر البركة بالرب يسوع والسؤال عن خاطركم قد طالعنا اعداد جريدة « البيرق » وتصفحناها بامعان وقرأنا دفاعكم الكريم . عن السلف الصالح والاحبار الاولين الذين خدموا المسيحية والانسانية بما خلفوه من الاثار الجليلة . وقد كان دفاعكم دفاع الليث عن عرينه وصاحب الايمان عن ايمانه . فاظهرتم الحجج الدامغة لخصمكم . ونحن لم نستبعد ذلك منكم ولم نتعجب منه ، لانكم مشهورون بقوة الحجة وبالاطلاع الواسع الدقيق على التاريخ والاداب . وهذه اثاركم تدل عليكم وهي لسان ناطق بفضلكم وبعظيم قدركم

ونختم رسالتنا بابداء شكرنا الجزيل لحضرتكم داعين الى المولى تعالى ان يوفقكم في سعيكم في سبيل الحق واظهاره . ونهدي اليكم اوفر البركة بنعمته تعالى ودمتم بعمر طويل وتوفيق جليل .

الموصل ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٤٩

اثناسيوس
المطران توما قصير

رسالة

سيادة مار بطرس ديب مطران القاهرة للموارنة

جناب الكريم الماجد الفيكنت فيليب دي طرازي طال بقاؤه باليمن

« بعد منح البركة الالهية بوافر الشوق الى مشاهدتكم عـلى كل خير . حظينا بمؤلفكم التاريخي «اصدق ما كان عن تاريخ لبنان» فشكرنا لكم من صميم الفؤاد على هذه الهدية . سنطالع بكل رغبة وسرور ما وضعتموه في هـذا الكتاب . فلا شك اننا نجد فيه فوائد كثيرة لما نعهده في شخصكم من سعة المعرفة والاجتهاد في التنقيب عن الاثار التاريخية . هذا وفيما ندعو لجنابكم بالنجاح في كل ما تريدونه لخدمة العلم والوطن نكرر اهداء البركة الالهية . اطال الله تعالى كريم بقائكم .

٢٥ حزيران سنة ١٩٤٨

الداعي لجنابكم

بطرس ديب مطران القاهرة

رسالة

سيادة قوراس جرجس دلال رئيس اساقفة الموصل

على السريان الكاثوليك

سعادة الفيكنت فيليب دي طرازي الاكرم دام شريف بقائه

« بعد اهداء البركة والسلام بالرب والسؤال عن شريف خاطركم طالعت رسالتكم المؤرخة في ١٩ نوار الماضي مصحوبة بكتابكم النفيس « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » وفي هذا التأليف الجديد ما فيه مما يشرّف السريان عموما منذ القديم حتى الان . ونرغب اليكم ان تتفرغوا لمثل هذه التآليف النفيسة المفيدة للتاريخ وللسريان . وقد جاد عليكم المولى الكريم بموهبة التأليف حتى غدا قلمكم السيّال فريداً في بابه واصبحت سائر الطوائف تحسدنا على شخصكم الكريم وفي الختام حفظكم المولى مديداً للعلم وللامة السريانية وادام شريف بقائكم

٢ حزيران سنة ١٩٤٨

لمحبكم المعجب بكم
قورلس جرجس دلال
مطران الموصل على السريان

رسالة

سيادة مار ديونيسيوس حبيب نعساني رئيس اساقفة حلب

على السريان الكاثوليك

« جناب السري الماجد الفيكونت فيليب دي طرازي المحترم

« اهدي اليكم البركة والدعاء والسلام وعواطف الحب والاحترام وبعد فاني تسلمت كتابكم « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان» وشكرت لطفكم اذ تكرمتم باهدائكم الي هذا الكتاب الفريد في نوعه والحاوي الشيء الكثير من المعلومات الثمينة مما لا نجده في كثير من كتب تاريخ لبنان وتاريخ الطائفة السريانية . وقد تجشمتم في سبيل جمعها وتلخيصها كثيراً من المشقة والعناء فاثني على همتكم القعساء اطيب الثناء وادعو لكم بطول العمر والبقاء لتتابعوا الابحاث المفيدة وتتحفوا التاريخ بالمعلومات الطريفة عن آثار الجدود التي عفتها صروف الزمان ومحتها نوازل الحدثان .

واني اخذت اطالع هذا الكتاب بشوق ولهفة . وسررت لزيادة تعرفي على شخصكم النبيل ووجهكم الكريم ... ختاماً اكرر اهدائي اليكم مع ثنائي على تأليفكم وشكري لهديتكم عواطف اعتباري واطال المولى بقاكم ».

١ حزيران ١٩٤٨ ديونيسيوس حبيب نعساني

رئيس اساقفة حلب للسريان الكاثوليك

رسالة

سيادة مار ابونيس جرجس سفينة رئيس اساقفة دمشق

على السريان الكاثوليك

حضرة السيد الماجد والعالم الكبير الفيكنت فيليب دي طرازي حرسه المولى

« بعد اهدائكم التحيات القلبية وبثكم اشواقاً مقرونة بالاجلال والاحترام. استلمت بالبريد المضمون مؤلفكم الجديد « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان ». فيلذ لي ان ارفع لكم اخلص التهاني صادرة عن قلب يقدّر جهودكم الادبية والتاريخية في سبيل اظهار امجاد امتنا الآرامية . وانتم من اخلص ابنائها عهداً وارفعهم قدراً واشدّهم غيرة. وما هذا المؤلف الجديد الا حلقة جديدة من سلسلة ذهبية وقلادة عسجدية طوقتم بها جيد هذه الامة الكريمة التي لسوء الحظ كادت تندثر اعلامها لولا ان قيض الله لها في هذا القرن امثال البطاركة شلحت ورحماني والمطارنة يوسف داود سلفي المثلث الرحمات ورجال القلم الفيكنت دي طرازي وغيرهم وغيرهم ممن وضعوا يدهم على مشعل العلم فاستلموه من القرون الخالية ورفعوه عالياً في عصرنا الحالي . . .

تقبّل يا حضرة الفيكنت عواطف الشكر للهدية الثمينة التي اهديتموها الي وادامك المولى».

٢٦ أيار سنة ١٩٤٨

للمخلص

ابونيس جرجس سفينة

رئيس اساقفة دمشق

رسالة

سيادة اياونيس يوحنا كندور مطران بيروت ودمشق
وتوابعهما على السريان الارثوذكس

حضرة عزيزنا الروحي الوجيه العلامة الفيكنت فيليب دي طرازي المحترم

« بعد اهدائكم البركة والدعاء بدوام سلامتكم والسلام بالرب يسوع نقول : بيد المسرة تناولنا كتابكم النفيس المدعو « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » معجبين به كل الاعجاب . فشكرنا ايها العزيز الكريم هديتكم الثمينة . ثم طالعناه بعين الاعتبار فوجدناه مجموعاً من درر غراء وكلما طالعناه هزّنا سرور عظيم وشكرنا مساعيكم . قلنا اننا نفتخر بكم ايها السرياني النبيل كل الافتخار بارك الله بهمتكم لانكم اذخرتم لكم في خزائن التاريخ وفي قلوب الطائفة العزيزة التي تفتخر بكم اثراً حميداً وذكراً مجيداً جازاكم الله تعالى واحاطكم باسباب الهناء وحفظكم بالعافية والتوفيق ونعمة الرب مع روحكم دائماً ... »

٢٥ ايار سنة ١٩٤٨

مطران بيروت ودمشق وتوابعهما
على السريان الارثوذكس
اياونيس يوحنا

رسالة

سيادة مار فيلكسين يوحنا دولباني مطران ماردين

على السريان الارثوذكس

« حضرة الوجيه السرياني الغيور السيد الفيكنت فيليب دي طرازي الموقر حفظه الربّ واطال بقاه

بعد اهداء البركات والادعية الخيرية والسؤال عن خاطركم الشريف اعرض : لقد وصلني كتابكم « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » وطالعت الجزئين مليّاً فاذا بهما انضج الثمار التاريخية لامتنا السريانية وهما ينبهان المتناسين لقوميتهم كي ينهضوا من سباتهم ويتكاتفوا لخيرها وفلاحها . ذلك عمل حسبته من اقدس الاعمال القومية وبه ضممتم الى عقد مآثركم القيّمة جوهرة يتيمة فشكراً لكم على اتحافكم الامة بمثل هذا الاثر النفيس الذي ازدانت به مكتبتي وسيخلد لكم الذكر الجميل مدى الاعوام . واقبلوا البركة من الرب » .

١٣ اذار سنة ١٩٤٨ — فيلكسين يوحنا دولباني

مطران ماردين

رسالة

صاحب الغبطة مار انطون بطرس عريضة
بطريرك انطاكية وسائر المشرق
على الطائفة المارونية

البركة الرسولية تشمل حضرة والدنا الفيكنت فيليب دي طرازي مؤسس دار الكتب اللبنانية المحترم

«تقبلنا هديتكم لنا وهي مجلدان بعنوان « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان ... فنثني اطيب الثناء على ما بذلتموه من العناية في هذا التأليف الذي سيبقي لكم ذكراً جميلاً مدى الدهر وسيتناوله من ورد فيه تاريخ عائلته بكل ارتياح . ونختم جوابنا هذا اليكم بوافر الشكر على هذا الاثر الثمين مع الدعاء باطالة عزيز بقائكم بالصحة التامة »

بكركي في ٧ حزيران سنة ١٩٤٨ الحقير انطون بطرس
بطريرك انطاكية وسائر الشرق

رسالة

نيافة الكردينال مار اغناطيوس جبرائيل تبوني

بطريرك السريان الانطاكي

حضرة السريّ الشهم ولدنا العزيز الفيكنت فيليب دي طرّازي المحترم

« نهدي اليكم البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب . امـا بعد فقد تناولنا كتابكم الكريم المسطور في ٢٩ آب المنصرم وطالعنا فهرست المؤلف الذي عُنيتم بجمع شتاته من مختلف المصادر المخطوطة والمطبوعـة . . . ولا نرى بدّاً من ابداء اعجابنا بما سطرتموه ايها الابن العزيز الشهم عن تاريخ السريان في لبنان . وخـاصة في الاقسام الاخيرة عن الاسر السريانية الاصل واعلام رجالها في لبنان . ونعتقد بانكم المؤرخ الفذّ في هـذا الباب وانه يستحيل فيما نعهد على سواكم ان يقوم به نظيركم . فنهنئكم بهذا العمل المجيد ونسأل الله تعالى ان يغمركم بنعمه ويكافئكم على اتعابكم وجهودكم خير المكافأة ويمدّ في حياتكم الغالية لتحلّوا جيد طائفتكم بمثل هذه القلائد النفيسة .

ونختم مكررين عليكم ايهـــا الابن الحبيب الهمام البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب » .

رسائل

اقطاب الدين الى مؤلف هذا الكتاب

ما كاد يذيع كتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبـــار السريان » بين القراء حتى انهالت علينا الرسائل العديدة والقصائد الوافرة من جهابذة العلم واعلام المؤرخين يفصحون عن ارتياحهم الى ما ورد فيه من المباحث الجديرة بالاعتبار.

فمع شكرنا الجزيل لكاتبيها وناظميها نعتذر اليهم من عدم اثباتها هنا لضيق المقام. انما اقتصرنا منها على نشر ما وجّهه الينا احبـار الدين دون سواهم. وها نحن نثبتها فيما يلي تبعاً لتاريخ ورودها :

ولكن اولئك المنتقدين حوّلوا كلامنا المرتكز على امتن الدعائم والممزوج بالاخلاص وطهارة القلب وصدق النيّة الى مهزلة استهجنها جميع العقلاء والادباء. ولو رجعوا الى أنفسهم واصغوا الى صوت ضميرهم واطلعوا عـلى موقفهم الشاذ الغريب وحبسوا اقلامهم عن كتابة مـا كتبوه من اساليب الشماتة والتهكم والاستحقار والافتراء والازدراء، لانجلى لهم موقفنا الحبي الصادق الوادع. ولكنهم ظنوا انهم بهذا العمل المستهجن يسدون معروفا جميلا او يؤدون خدمة جلّى الى امتهم المارونية التي استنكرت انحرافهم عن الصواب .

اما نحن فقد سلكنا كما شهد الجميع سلوكا غير سلوكهم واستعملنا لهجة غير لهجتهم واستأثرنا بالرصانة والاستقامة والفطنة طبقا لما تلقنّاه منذ نعومة اظفارنا عن آباءنا واجدادنا رحمهم الله تعالى . وفنّدنا تلك المزاعم والترهـات باصرح البيّنات وادق الروايات . وغمّضنا عن الكثير منهـا حباً بالاختصار واوضحنا لاولئك المتهوسين ولكل من اطّلع على ردودنا صدق ما نشرناه في كتابنا .

ونكرر التصريح باننا لم نتوخ على الاطلاق الحط من كرامة احد في كل ما كتبناه كما توهم الخوري بولس قرءعلي واعوانه. لكننا اعتبرنا وما زلنا نعتبر الطائفة المارونية اعتبارنا لطائفتنا السريانية شقيقتها . لان كلتيهما متحدرتان من جدّ واحد ومتصلتان بمحتد واحد ورضيعتا لبان واحدة صافية .

اننا في الختام نسدي فروض الحمد لباسط الأرض ورافع السماء عـلى بركاته الوافرة ونعمه الزاخرة، وانه اولانا قوة في شيخوختنا للنهوض بهذه المناقشة التي جرّنا اليها كهنة انحرفوا عن محجّة الصواب وانغمست اقلامهم المتطرفة بعبارات يترفع من كان في درجتهم المقدسة عن كتابتها فضلا عن التباهي بنشرها عـلى صفحات الجرائد . سامحهم الله على هذه الخطة الطائشة التي سلكوها في قضية تاريخية محضة.

سدد الله خطواتنا وخطواتهم في سبيل نصرة الحق واعلاء شأن الفضيلة والعلم. فعليه سبحانه اتكالنا وبه ثقتنا واعتصامنا انه السميع المجيب .

الخاتمة

بلغنا والحمد لله تعالى آخر مرحلة من مناقشتنا التاريخية التي استغرقت سبعة شهور كاملة ، وخرجنا من المعمعة مرفوعي الرأس موفوري الكرامه مؤيدي الحجة . وقد اتيح لنا ان ندافع عن نفسنا وعمّا سطرناه في كتابنا «اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان» ونؤيد كل ما اثبتناه فيه من الحقائق الساطعات الصادقات طبقا للعنوان الذي وسمناه به . ودعمنا رواياته واخباره باسانيد راهنة وبيّنات قاطعة انكرها دون تمعّن ودون تروّ كهنة متهوسون ارتكبوا بتهوّسهم جريمة ادبية لا تغتفر . واقترفوا بتسرّعهم جناية قلمية لايبرّرها التاريخ ولا يرضاها المنطق ولا يقبلها الذوق السليم .

ولقد كنا ممّن يشكر لهم نهضتهم هذه لو استطاعوا ان يطلعونا على حوادث صحيحة قديمة ام حديثة نجهلها . ولازداد شكرنا لهم لو مدّونا بفوائد جديدة تزيد موّاد كتابنا فنستدرك ما لعلنا غفلنا عن ذكره او اهملنا تدوينه .

انى لهم ذلك وهم لم يتعمقوا بالبحث عن تاريخ نصرانية لبنان في قرونها الاولى ولم يدرسوها درسا كافيا! وبالتالي فانهم لم يطلعوا اطلاعا وافيا على آثار كنائس لبنان وادياره القديمة وعلى احوال اساقفته وابرشياته السالفة ! ولم يقفوا على اخبار رهبانه وكتبته ونسّاخه القدماء ! ولم يتقنوا درس اصول بعض اسره وما هي فواجع الدهر التي دارت عليها حتى اضطرّتها ان تنتزح عن اوطانها الاصلية وتوافي الى لبنان وتتسلسل في انحائه ! وقد تصدّى مؤرخو الاسر لذكر فروعها وفروع فروعها واشاروا الى وطنها الاصلي ، فاستندنا نحن اليهم في ما رويناه عنها وعن مشاهير رجالاتها الذين خلّفوا ذكريات طيّبة خالدة في عالمي الدين والدنيا بنبوغهم ونفوذهم وجهودهم .

ومدارسهم حافلة بالكتبة والطلبة ومكتباتهم عامرة بالمخطوطات. وقد ابدى امراء الصليبيين لهم ولبطاركتهم مظاهر الاجلال والتكريم.

غير ان الخوري بولس لا يريد ان يتفهم هـذه الحقائق التاريخية الناصعة ولا يريد ان يعرف ان الذين الحقوا الرزايا بشعب الكنيسة الانطاكية ليسوا السريان اليعاقبة اجدادنا، لكنهم هم ملوك التتر والمغول اجداده نكتفي منهم بذكر الطغاة: جنكزخان وهولاكو وتيمورلنك وتولي فهم الذين اكتسحوا بخيلهم ورجلهم بلاد المشرق ومحقوا حضاراتهـا ودكوا كنائسها واديارها ومعاهدها العلمية حتى جوامعها ومساجدها. وارتكبوا ما ارتكبوا من الفظائع والفضائح، اذ فتكوا بالشيوخ والاطفال وفظعوا في النساء والفتيات وابتزوا الامـوال حتى امست جثث القتلى تلالا تلالا في كل مدينة وبلدة وقرية ودسكرة وطأتها اقدامهم.

فاذاً ليس اليعاقبة هم الذين انزلوا الرزايا بشعب الكنيسة الانطاكية بـل هم التتر والمغول اجداد الخوري بولس (قره علي) عينه لا سواهم.. وهذه الرزايا والمـلاحم هي التي حملت اسراً كثيرة سريانيـة ان تستغني عن املاكها وارزاقها وبيوتها وتنتزح عن وطنها، فاقبلت الى لبنان الذي كان راتعاً يومئذ في بحابـح الطمأنينة كما ايد البطريرك اسطفان الدويهي والمؤرخون عامة وامتزجت بسكانه: كاسرة الخـازن والحلو وشاهين المشروقي والدويهي وداغر وضو وعبيد وستيته وثابت الخ الخ. وقد قدموا الى لبنان من بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين وغيرهـا كما اثبتنا ذلك كله مفصلا في كتابنا «اصدق مـا كان» ولا سبيل الى مناظرنا ان ينكر هذه الحقائق التاريخية الراهنة شاء ام ابى.

ويا ليت الخوري بولس قره علي نهج في مناقشته ايانا منهاج المؤرخين الصادقين المترفعين عن الحزازات الشخصية والنعرات الطائفية.

فلو اتبع تلك الخطة الرشيدة لأحرز ثقة ارباب التحقيق واعتده مطالعو كتاباته ونحن في طليعتهم علماً من اعلام التاريخ في الديار المشرقية. ولكنه بأسف شديد خيـّب آمالنا وآمالهم في جميع ما خطه قلمه واثبتناه في مطاوي هذا الكتاب.

البدعة اليعقوبية ... قوّضت اركان الشرق المسيحي ودكت من اساسها البطريركية الانطاكية ... ومزّقت شمل العشرين مليونا من رعاياها ... وحوّلت مدنهـا العامرة وكليّاتها الزاهرة الى اطلال دارسة وكنائسها الفاخرة واديارها الغاصة بالعبّاد والعلماء والمرشدين الى اكوام خرائب ينعق فيها البوم وارضها الى بحر من الدماء ... » فجوابنا على ذلك :

اولا – اننا نطالب مناظرنا ان يدلنا عمن نقل هذه الاخبار الملفقة المزوّرة واين عثر على هذه الحوادث التي لا اصل لها من الصحة قطعاً واصلا. والا فتكون اخبار هذه كسائر اخباره كاذبة يجب نبذها .

ثانياً – قد صرّح جهابذة المؤرخين ان السريان اليعاقبة ظلوا منذ انفصالهم عن الكنيسة الكاثوليكية حتى اواخر القرن الثالث عشر من اعظم الامم النصرانية في بلاد المشرق واوفرهم جاهاً واغزرهم علماً واكثرهم عدداً وكان لهم مائة وستون ابرشية اسقفية بينما كان عدد الروم الملكيين نصف مليون كما صرّح العلامة كرلفسكي (الاب كيرلس شارون سابقاً) وكان عدد الموارنة ٤٢ الفاً كما اثبت غليلم مطران صور اللاتيني ونقل عنه المطران يوسف الدبس في كتابه الجامع المفصّل .

ثالثاً – كان للسريان اليعاقبة حتى اواخر القرن الثالث عشر خمس كنائس في انطاكية وخمسة اديار كبرى في جوارها. وكان لهم في المدن التي احتلها الصليبيون ٣٧ ابرشية مطرانية نذكر منها: اورشليم وعكا وطرابلس وجونية وعرقا ودمشق وحمص وحلب وصدد ومرعش ومنبج وسروج والرها وسويرك والرقة وراس العين الخ . وهذه الابرشيات تعد من اصل المائة والستين ابرشية التي كانت لهم في سائر الاقطار .

رابعاً – فضّل الصليبيون بطاركة السريان على بطاركة الروم الملكيين انفسهم حتى ان جوسلين اميرهم عقد مجمعاً في تل باشر مركز امارته مؤلفاً من اساقفة اليعاقبة وانتخبوا البطريرك يوحنا الخامس عشر وسلموه عكاز البطريركية في كنيسة الافرنج عينها . وكانت اديار السريان في تلك الغضون غاصة بالرهبان

افرام رحماني نشرنا بالطبع كتاب « جامع الحجج الراهنة » . فهـذا كله ليس الا افكا وبهتانا . وما نقوله عن نفسنا نقوله كذلك عن بطريركنا الرحماني المغبوط فقد كان يجهل تمـام الجهل امر طبع الكتاب المشار اليه . فهذه اذا كذبة اخرى الصقها الخوري بولس ببطريركنا ضمها الى كذبته الاولى لما نسب زوراً اليه قضية كنيسة مار ابجاي في اهدن وقد فندّنا زعمه في رد سابق .

ولكي يطمأن بال الخوري بولس قره علي من هـذا القبيل نفيده أن ناشر كتاب « جامع الحجج الراهنة » ليس البطريرك المشار اليه ولا نحن . بل هوالسيد يوسف ليان سركيس مؤلف كتاب « معجم المطبوعات العربية والمعربة »

ومن المؤكد ان الخوري بولس يعرف ذلك حق المعرفة ولكنه يتجاهل هذا الامر للدّس علينا وعلى البطريرك المشار اليه .

ومن المؤكد ايضاً ان الخوري بولس ويوسف ليان سركيس عاشا كلاهمـا السنين الطوال جنباً الى جنب في مدينة القاهرة حيث طبع كتاب « جامع الحجج الراهنة » في خمسة آلاف نسخة .

وكان الموارنة اسبق جميع الطوائف على شرائها والحرص عليها في خزائنهم . فبعد هذه التصريحات هل يسوغ للخوري قره علي ان يتهمنا ويتهم معنا البطريرك افرام الرحماني المغبوط اننا طبعنا الكتاب المذكور دون سوانا ؟

الفصل الرابع والخمسون

اجداد قره علي النتر لا اجدادنا ينزلون الرزايا بالشرق المسيحي

كتب الخوري بولس بتاريخ ٢٤و٢٥ كانون الثاني في البيرق يقول : « ان

الفصل الثاني والخمسون

هذيان قره علي وضياع صوابه

تطرف الخوري بولس قره علي كل التطرف بقوله عنا : « هذا رجل من اعيان الطائفة السريانية جعل طائفته الاصلية في لبنان وسيدته وطائفتنا المارونية دخيلة عليها وخادمة . بل لصة شريرة خائنة . . اما الاسر المارونية فليس بينها اصيل بل جميعها متحدرة من متشردي اليعاقبة. وليس بين بطاركتها ومطارنتها ومشاهيرها ماروني صميم بل « جميعهم » من اجداد هراطقة » .

الى هذا الحد بلغ الخوري بولس من التعسف والبغضاء حتى قال ما قاله دون فطنة ولا حياء . ولعمري اي عاقل رزين يطالع مثل هذه العبارات الشائنة ولا يزدري بقائلها . الا يدل على ان هذا الكاهن يحاول ان ينفث سمّ العداء بين طائفتين شقيقتين ويلقي بينهما بذور الفتنة والشحناء ؟ ذلك مما يدل على رعونته وهذيانه واستنباطه روايات وهمية لا اثر لها من الصحة ولا وجود لها الا في مخيلته .

واي عاقل يسلم بمثل هذا الكلام بعد اطلاعه على كتابنا الرصين المنزّه عن كل هذه الشوائب. فليخط قلم الخوري بولس ما يشاء لان موقفه العدائي تجاهنا اصبح مشهوراً لدى الخاصة والعامة . ولكن يا ويلك ايها الخوري من هذا التضليل الذي لا يدل الا على تعصب ذميم وعلى حقد خفي مقيت ·

الفصل الثالث والخمسون

تهمة جديدة يلصقها قره علي بالبطريرك افرام رحماني وبنا

لقد كذب الخوري بولس قره علي كذلك بزعمه اننا نحن والبطريرك اغناطيوس

الفصل الواحد والخمسون

استنكار قره علي جلب اليعاقبة مخطوطاتهم العلمية الى لبنان

حاول الخوري بولس ان يكذبنا فيما نقلناه عن الاب ايرونيمس دنديني اليسوعي فاورد لنا عبارته نقلا عن الاصل الايطالي هكـذا : « قيل لي ان اليعاقبة جلبوا الى هذه البلاد من مدة غير بعيدة حمولة خمسين بغلا من كتبهم . . وان استجلاب اليعاقبة هذا العدد الكبير من المخطوطات لا يدل على انهم كانوا علماء جهابذة . . . وان اليعاقبة لو كانوا جهابذة لما تكبدوا نفقات ومشقات جلبها من هذه المسافة الشاسعة بل وضعوا هم ما كانوا بحاجة اليه للدعاية» .

افلا تدل هذه المخطوطات الوافرة يا حضرة الخوري قره علي على ثقابـة عقول ايمة اليعاقبة ونبوغهم ؟ وهلا يبرهن استجلاب هذا العدد الضخم منها على نشاطهم وجهودهم في نشر العلوم اينما وجدوا وحيثما اتجهوا ؟ اما نقل هذه المخطوطات حين قدومهم الى لبنان فهو يشير الى حرصهم على الكنوز العلمية التي ورثوهـــا عن اجدادهم او التي الفوها بانفسهم . واية حاجة لاهمال واضاعة الوقت لتأليف غيرها بينما هي جاهزة للدرس والبحث ؟ ويبدو ان الوقت عند الخوري بولس غير ثمين حتى افتى بتركها في مكانها واعداد غيرها في لبنان . مما لا يسلم به ارباب العقول الناضجة .

اما تنديدك بنا لقولنا صفحة ٢٠٠ من كتابنا : « ستين حمل بغل » بدلا من « خمسين » فقد نقلناه حرفياً عن مجلتك السورية البطريركية (فصل ١٩ صفحة ٢٤٨ سنة ١٩٣١) بالحرف الواحد .

ومتأخرين . وبعد هذا فاذا كنا نحن ملفقين كما تدعي فيكون جميع من نقلنا عنهم ولستندنا الى تواريخهم ملفقين ايضاً . وهذا مايخالفك عليه ارباب التدقيق والتحقيق شرقاً وغربا .

الفصل الخمسون

فره على ينصب اعواد المشانق لبطاركة طائفة الابرار

اردف الخوري بولس قائلا : « ان الفيكنت طرازي اخبر زبائنه الموارنـة عن اصل اجدادهم ورتّب لمشاهيرهم لوائـــح الشرف اليعقوبي وبطاركتهم اعواد المشانق اليعقوبية » . الا يخجل هذا الكاهن من استعمال اساليب كهذه ينفر منها كل ذي نفس شريفة ولاسيما العقلاء والادباء . على اننا لم نسمع ان كاهنا اقدم على السخرية ببطاركة ابرار اطهار لهم منزلتهم السامية و كرامتهم في عالم الدين و الدنيا .

قلنا ونكرر القول : اننا لم نستنبط قط انتساب الاسر المارونية الى المـــلة اليعقوبية . بل استندنا في كل ما قلناه الى مراجع تاريخية صادقة دوّنها الموارنة انفسهم واثبتناها كما جاءت في مؤلفاتهم . ولو افترضنا اننا جعلنا اصل تلك الاسر يعقوبية ، فهل من جناية اقترفناها حتى تبجحت قائلا اننا نصبنـــا اعواد المشانق لتلك الاسر المارونية ولبطاركتها الاجلاء ؟

ونحن نؤكد لك بلسان تلك الاسر وعقلائها ومؤرخيها انهم يؤثرون الف مرّة ومرة انتسابهم وانتساب اجدادهم الى الملة اليعقوبية . ولا يرضون على الاطلاق ان ينتسبوا الى التتر اجدادك .

على عواهنه كالخوري بولس . ولم يخطر ببالنا قط أن نمنح لقباً لأنسان في غير محله ولا ان نبخث حقاً لاي كان . بل حرصنا كل الحرص فيما اوردناه بكتابنا وتقيدنا بالنصوص نقلاً عن مراجعها ومصادرها دون زيادة ولا نقصان .

الفصل الثامن والاربعون

قره علي يصم اذنيه ويسترسل في مجادلاته الواهية

بلغ الغيظ مبلغه من الخوري بولس مناظرنا حتى قال: «احلف برأس جدي اني افضل نوم اهل الكهف كي لا اسمع خرافات الفيكنت وشتائمه». دع جدك ياحضرة الخوري بولس راقداً في ضريحه دون ان تزعجه وتقلق راحته وتشركه في مجادلاتك الواهية . ان صوتنا بح وافهمناك مرارا بالقلم العريض ان كتابنا وجميع ردودنا عليه خالية من كل شتيمة وتحقير . ولكن «كل اناء ينضح بالذي فيه» وقد صدق فيك قول الشاعر :

« لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي »

الفصل التاسع والاربعون

قره علي يحط من شأن المؤرخين الذين استندنا الى نصوصهم

ادعى الخوري بولس : « ان كتابنا تلفيق من رأسه الى ذنبه » . فجوابنا على ذلك اننا لم نكتب شيئاً الا دعمناه بمرجعه الاصلي واشرنا اليه في هوامش كتابنا وقد نقلنا ما نقلنا عن اصدق المؤرخين موارنة وغير موارنة قدماء ومتوسطين

شقيقة طائفتنا بلغتها وطقوسها وعاداتها الخ . وقد عرفنا ان العقلاء والمفكرين من كلتا الطائفتين اخذوا يضجرون من مطالعة اجوبته مصرّحين انه تعدى طوره وشذّ عن موضوع المناقشة . وكم من مرة نبهناه وحذرناه ليكف عن الهزل والمزاح والتهكم ويعدل عما لا صلة له بكتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » ولكنه ابى الا التمادي في خطته الهوجاء وتعابيره البذيئة المستهجنة التي نشرها على صفحات « البيرق » فكان ذلك داعياً لتهوره الى اسفل الدركات مما لم يسمع بمثله عن كاهن سواه حتى تاريخ يومنا هذا .

الفصل السابع والاربعون

الخوري قره على يتخذ الامير الشهابي الكبير موضوعاً للهزل والسخرية

لم يخجل الخوري بولس قره علي ان يزدري بنا ويشبهنا بالامير بشير الشهابي الثاني فقال : « ها هوذا الفيكنت يتقمص شخصية الامير بشير الشهابي الكبير فينعم على من يواليه بالمشيخة والمقدّمية والمختارية . على اننا نلفت نظر سعادته الى انه نسي ان يلصق لحية الامير المسترسلة على ذقنه الكريم وشواربه العنترية تحت انفه الاشم . فقد كانت تزيد في هيبة الامير بشير . الا اذا كان سعادة الفيكنت لم يعد يهمه ان يكون قليل الهيبة ام كثيرها . »

ما رأيكم ايها القراء في هذا التشبيه ؟ هل سمعتم في زمانكم كاهناً يتلفظ بمثل هذا الحديث؟ ومن تراه يعدّ قليل الهيبة وفاقد التوازن في تشبيه مثل هذا التشبيه المستهجن الذي ان دل فلا يدل الا على ذوق قائله وتهذيبه وادبه ! .

اما اتهامه ايانا باننا منحنا من يوالينا لقب « المقدمية والمشيخة والمختارية » . فقوله هذا مردود من اساسه . لاننا ما تعودنا في جميع كتاباتنا ان نلقي الكلام

وفريد عصره . وقس على هؤلاء الافاضل جهابذة مؤرخي طائفته المارونية كالعلامة الدويهي ويوسف السمعاني والعينطوريني وغيرهم وغيرهم ممن نسجوا على منوالهم ورووا اصدق الاخبار عن طائفتهم واسرهم .

الفصل الخامس والاربعون

بخس قره علي قيمة كتابنا وتحريفه نصوصه

اجل لقد بالغ الخوري قره علي في بخس قيمة كتابنا ظاناً انه يصطنع صنعاً مجيداً عند طائفته المارونية ويحتظي لدى رؤسائها الاجلاء . ويا ليته امعن في نصوص هذا الكتاب امعاناً دقيقاً اميناً مخلصاً . فلو فعل ذلك لتجلى له في كل خبر من اخباره بل في كل سطر من سطوره ما يدعو الى الارتياح والاعجاب ،واقتنع بما احتواه من البينات الساطعات والحقائق التاريخية اللامعات . ولكن هو الغرض ساقه ليكتب عنا وعن طائفتنا وعن اخوتنا السريان اليعاقبة كلمات طائشة وحكايات هزلية لو شئنا ان نتتبعها لالفنا منها مأساة غريبة ومدهشة .

فما قول ارباب الادب في كاهن يطيب له استعمال امثال هذه التعبيرات الخارجة عن اصول اللياقة في مناقشة علمية علنية ومجادلة تاريخية بحتة ؟؟

الفصل السادس والاربعون

اثارة قره علي الضغائن والاحقاد بين الطائفتين المارونية والسريانية

اتضح جلياً للخاص والعام ان مناظرنا الخوري بولس قره علي لا يتوخى في مناقشته وردوده الا اثارة الضغائن والاحقاد بيننا وبين الطائفه المارونية الجليلة

الفصل الثالث والاربعون

اسرة قرألي وتحدرها من محتد تتري مغولي

لسنا نريد التعمق بالبحث عن اصل اسرة الخوري بولس المشهورة باسم قرألي او بالاصح « قره علي » فهي كنية لاسرة حلبية ينتسب اليها الخوري بولس ولا تزال معروفة هكذا في مدينة حلب حتى اليوم . ومعنى هذه الكنية التترية « علي الاسود » في اللغة العربية ، فحرّفها مناظرنا كعادته في جميع ما يكتبه وجعلها قرألي لتقارب لفظها باسم مدينة في ايطاليا تحمل هذا الاسم . ولا ريب في ان «قره علي » جدالخوري بولس الاعلى يتحدّر من عنصر تتري دون ان يكون له ادنى صلة بالطائفة المارونية من حيث اصلها وعنصرها ولغتها ووطنها وحضارتها ودينها وتاريخها .

فنحمد الله الذي منّ علينا بان نتحدر من الملة السريانية اليعقوبية وهي الجدة العليا لعدد وافر من الأسر المارونية القديمة العهد في لبنان

الفصل الرابع والاربعون

قرألي يحشر نفسه بين مشاهير المؤرخين

قد حاول قره علي مناظرنا ان يحشر نفسه بين مشاهير المؤرخين . ولكن هيهات ثم هيهات ان يتصل الى ما اتصل اليه مؤرخو السريان اليعاقبة الفضلاء كذكريا البليغ ويوحنا اسقف اسيا ويعقوب الرهاوي وديونيسيوس التلمحري ويعقوب ابن الصليبي وميخائيل الكبير ولاسيما المفريان ابن العبري اعجوبة زمانه

ثامناً – تحرّشه باسرتنا وبشعارها

امعن الخوري بولس في التحرّش باسرتنا وشعارها الممنوح لها من البابا لاون الثالث عشر الخالد الاثر . الى ان ساقه التعصب الذميم الى التحرش بنا وبشيوخنا فاقترح نصب تمثال لهـــا . وازدرى اعمالنا وتصانيفنا واستحقر خصوصاً كتابنا اصدق ما كان عن تاريخ لبنان ونحن في اعتقادنا ان الله جلت مراحمه قد جاد علينا بان نقطع هذا الشوط المديد من عمرنا في جهود متواصلة واعمـــال خيرية ووطنية مفيدة . ولسنا نقول ذلك عن عجب وافتخار كلا ، بل لان الحقيقة اضطرتنا ان نجاهر بسرائر قلبنا تفنيداً لمزاعم الخوري بولس الذي تحرّش ليبخس حقنا وتشويه صحيفتنا مدعياً انه هو وحده المؤرخ الصادق وان مـــا كتبناه نحن لا قيمة له ولا اعتبار . وكفانا تعزية ان الخـاص والعام يعرفون حق المعرفة ما لنا من الاعمال المبرورة والآثار العلمية .

تاسعاً – تحرّشه بالملة السريانية اليعقوبية واحبارها

اخيراً تحرش الخوري بولس خصوصاً باجدادنا السريان اليعاقبـــة واحبارهم ورهبانهم مستعملاً في تحرشه الفاظاً غليظة قاسية يشمئزها الذوق السليم ويستنكرها المنطق ويرفضها الدين المقدس رفضاً باتاً . فهل ظن هذا الخوري انــه اكرم اصلاً وارفع قدراً من اصل الطائفة السريانية اليعقوبية وقدرها ! حتى وثب يزدري بها وبيطاركتها واساقفتها وعلمائها ومؤرخيها ؟

فما بال الخوري بولس قرعلي يسخر بالاسر السريانية اليعقوبية التي انضمت الى طائفة السريانية المارونية ؟ وما باله يستهزئ باصل المطران الياس رزقا الجبيلي وباصل آل السمعاني وآل عواد وآل الدويهي وآل شاهين المشروقي الخ الخ – وهم متحدرون جميعاً من اصل سرياني وبين اصلهم السرياني واصله التتري او المغولي بون شاسع وشاسع جداً ؟

الاعلى . ثم قضى بان البطريرك يوحنا الحلو الطيب الاثر لا يمتّ بصلة اليها مناقضا بذلك ما اثبته ثقات المؤرخين وفي عدادهم الدكتور رشيد شكر الله الحلو وسائر آل الحلو وفروعهم بلا استثناء. ولم يكتف بذلك بل اردف يقول: «ان الواحد من آل الحلو اذا وطىء ارض لبنان وشم هواءه النشيط منحه الله نعمة خصب لم يمنحها للارانب والاسماك والجراد والذباب ...»

سادساً — تحرشه بآل ضو

تحرّش كذلك باسرة آل ضو وانكر جدهم الاعلى موسى غانم . مما اثار غضب رئيس جامعة بني ضو السيد نصري بك لحود الذي نشر على صفحات البيرق مقالا ضافيا في الدفاع عن كرامة اسرته وجدها الاعلى . فحاول حينئذ الخوري بولس ان يزرع الفتنة بيننا وبين السيد لحود فكتب في جريدة البيرق يقول : « اننا لم نتعرض للكلام عن اسرة نصري بك الا على سبيل تقديم المثل على مزاعم الفيكنت في يعقبة الاسر المارونية . ونحن قمنا بواجب مفروض على كل كاهن للدفاع عن كرامة طائفته وتاريخها . والذي يقوم بواجبه لا يخيفه العواء على قول المثل الفرنسي « الكلاب تنبح والقافلة تواصل سيرها » .

فلسنا ندري هل جاد علينا وحدنا ام علينا وعلى نصري بك صديقنا بهذا التشبيه الظريف وبهذا المثل الذي يمجه كل ابّي شهم عاقل ؟

سابعاً — تحرشه بآل الخازن وسائر الأُسر

تحرّش الخوري بولس ايضاً باسرة المشايخ الخوازنة مدعياً انها ليست من غسان خلافاً لما قرره مؤرخوها وعلماؤها الافاضل . وقس على ذلك تحرّشه باسرة داغر واسرة السخن واسرة الجميّل وغيرها من الاسر المارونية التي حاول عبثاً ان يشوّه تاريخها وينكر اصولها .

تحرّش الخوري بولس قرألي بكتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » محاولا تكذيب ما اوردناه فيه من حقائق تاريخية راهنة واخبار صحيحة اسندناهـا الى اوثق المراجع وادق الرويات . ففار فائره وغلب على امره حتى قضى بان يلقي كتابنا المشار اليه في « مزبلة النسيان » مع علمه بانه انطوى على اخبار رهط صالح من بطاركة طائفته المارونية واساقفتها الاجلاء وعلمائها المبرّزين ومشائخها واعيانها.

ثانياً — تحرشه بالملتين الشقيقتين السريانية والمارونية وزرعه الخصام بينهما

تحرّش كذلك بطائفتنا السريانية وباحبارها الاجلاء وعلمائها الفضلاء ساعيـاً لزرع الخصـام بين الامتين السريانيتين الشقيقتين مستخدما المثالب والاكاذيب والقصص البذيئة وسيلة توصله الى غايته العوجاء .

ثالثاً — تحرشه باسرة شاهين المشروقي

تحرّش باسرة شاهين المشروقي مدعيا انها انقرضت من عالم الوجود بقتل اولاد المقدّم يوسف خاطر مكذبا بتحرشه هذا ما اثبتـه البطريرك الدويهي المغبوط في تاريخه وما قرره البطريرك بولس مسعد في محفوظاته وما وافق عليه البطريرك الياس الحويك المثلث الرحمات ورهط من اساقفته الاجلاء .

رابعاً — تحرشه بشجرة آل الدويهي

تحرّش كذلك بشجرة آل الدويهي التاريخية التي حرّفها وشوهها . وهو يعلم ان منشئها انما هو اعلم علماء الموارنة واشهرهم اعني البطريرك اسطفان المغبوط .

خامساً — تحرشه باسرة آل الحلو

تحرّش ايضاً باسرة آل الحلو وانكر تحدرها من الشيخ جمعة العنحلي جدهـا

واخوتنا السريان اليعاقبة بكوننا شحادين . هراطقة . مكارين خداعين . مجرمين . مزوّرين . محرفين . خرفانين . بهائم . ذاهلي العقل. عفاريت. شياطين . حتى بلغت القحة بالخوري قرألي ان يشبهنا بكلب يعوي مطبقاً علينا المثل الفرنسي «الكلاب تنبح والقافلة تواصل سيرها » واخيراً مثلنا « بعجوز اشمط » تجاوز الرابعة والثمانين نظيرنا .

فازاء هذه النعوت الطريفة الظريفة التي انتجتها فكرة الخوري بولس قرألي وبعض اعوانه ليس لنا الا ان نسامحهم بكل قلبنا عملا بوصية سيدنا يسوع المسيح عز شأنه وهو القائل : « احبوا اعدائكم واحسنوا الى من يبغضكم . . » ونحيلهم الى ما كتبه القديس بولس رسول الامم الى اهل غلاطية وهو « فان كلكم معشر الذين اصطبغتم بالمسيح فالمسيح لبستم. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وانثى . لانكم جميعكم واحد في يسوع المسيح »(٣ :٢٧و٢٨)

ونختم مقالنا بعبارة عسجدية لفظها رأس الكنيسة الجامعة البابابيوس الحادي عشر في خطاب القاه على مسامع الشبيبة الايطالية بتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٩٢٧ ملمعا الى المنفصلين عن الحظيرة البطرسية قال : « ان المنفصل عن الجسم الذهبي يعد ايضاً ذهبياً .»

الفصل الثاني والاربعون

اعتداء قرألي على الكرامات وتحرشاته العديمة الذوق والمنافية للحقيقة

اولا — تحرشه بكتابنا « اصدق ما كان »

من شاء الوقوف على الدور الذي مثله الخوري بولس قرألي على صفحات جريدة البيرق في مناقشته التاريخية معنا عليه ان يطالع ما نستعرضه الان من تحرشات هذا الكاهن العديمة الذوق والمنافية للحقيقة والصواب فنقول :

وقنسرين وتل عدا الخ ? هل يليق بك ان تهزأ بملة كهذه انجبت رهطاً صالحاً من فلاسفة واطباء ومؤلفين ومؤرخين وكتبة اعتبرهم احبار طائفتك المارونية الاجلاء واستندوا الى تصانيفهم وكتاباتهم ? هذه مخطوطاتهم الثمينة تملاء خزائن الكتب شرقا وغربا وعددها يربي على الالاف وهي تتناول كل علم وفن ومطلب . فاذا كنت تجهل ذلك او تتجاهله فعليك ان تراجع ما كتبه حضرة البحاثة الخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني الموقر او حضرة العلامة المونسنيور ميخائيل الرجي المحترم وهما يدلانك على بعض اثار اليعاقبة في الطقوس البيعية وعلاقاتها بطقوس طائفتك المارونية . واذا كنت لا تكتفي بهذين العالمين الجليلين فعليك ان تلجأ الى العلامة الكبير البطريرك اسطفان الدويهي الطيب الاثر وتطالع مخطوطته النفيسة التي نسخها بيده المباركة وهي محفوظة بكل حرص واكرام تحت الرقم ١١٢ بين مخطوطات خزانة بكركي البطريركية . طالعها فتشاهد بأم عينك عدة نوافير اوليترجيات صنفها ايمة السريان اليعاقبة وقد ضمها ذلك البطريرك المغبوط الى غيرها من نوافير علماء السريان نذكر منها على سبيل المثال نافور ماروثا اسقف تكريت ونافور يعقوب الرهاوي وكلاهما من اجل علماء اليعاقبة ومشاهيرهم .

خامس عشر — النعوت المستنكرة التي الصقها بنا قرألي واعوانه ومقابلتنا ذلك بالصفح والدعة

يعز علينا ان نرى بعض الكهنة وفي طليعتهم الخوري بولس قرألي يسيئون الظن بنا وينشرون على صفحات الجرائد كلمات مخجلة ومواضيع لا صلة لها بكتابنا. اجل يشق علينا جداً ان نراهم يتحرشون بكرامة رؤساء الدين وينتهكون حرمتهم ويتحاملون حتى على مؤرخي اسر طائفتهم انفسهم . ويستغرقون في الهزل والتهكم والشتم وغير ذلك من كلمات الافتراء والتحقير . اما نحن فاننا نسامحهم على ما شط به قلمهم اذ اسندوا الينا وظيفة بابا وقاض وطبيب نطاسي. ووصفونا نحن واجدادنا

والجدير بالذكر ان الخوري بولس تمسك بهذه العبارة التي ليس فيها ادنى علاقة للبطريرك المذكور بكنيسة اهدن وذلك تضليلا للافكار. على ان مناظرنا اغمض عمدا عن ذكر المرجع الذي نقلنا عنه خبر الكنيسة القديمة المومأ اليها وهو مخطوط نسخه بيده المطران جبرائيل بن اسطفان ستيتة الماروني الاهدني سنة ١٨٤٨ للاسكندر (١٥٣٧ م) بوادي قزحيا. ولا يزال هذا المخطوط محفوظاً تحت الرقم ٥٢ بين مخطوطات المكتبة الواتكانية. فما بال الخوري بولس يغالطنا ويحرّف نصوص كتابنا الصريحة (طالع كتابنا: مجلد ١ صفحه ٢٤٥ - ٢٤٦).

رابع عشر - ازدراء قرألي بالامة اليعقوبية التي عرف قدرها علماء طائفته

اسرف الخوري بولس قرألي زهاء سبعة اشهر يدندن ويطنطن على صفحات «البيرق» متعمداً بخس قيمة الملة السريانية اليعقوبية الجليلة والازدراء بها وبرؤسائها ومؤرخيها وعلمائها وبكل ما يتعلق بها. وراح يطعن في كل من يمتّ بصلة اليها ويمسخ تاريخها ويستحقر امجادها ومفاخرها. ولم يدع عبارة من عبارات الذم والسخرية والافتراء والتحقير الا خطها قلمه للحط من كرامتها. بناء عليه راينا ان نوجه اليه الخطاب التالي فنقول:

اعلم يا حضرة الخوري بولس قرألي انك باحتقارك اليعاقبة انما تحتقر امة نصرانية جليلة عرف قدرها فحول الكتبة والعلماء. فهل يجمل بك ان تتهجم عليها هذا التهجم وانت تعلم انها تدين مثلك بدين السيد المسيح له المجد، وتعتقد بلاهوته وناسوته وانجيله وبسائر تعاليمه وتعاليم رسله الابرار؟ وهل تستطيع انكار ما كان لليعاقبة في عصرهم الذهبي من المكانة والاعتبار لدى قياصرة الروم واكاسرة الفرس وخلفاء بني العباس؟ وهل تجهل ان عدد ابرشياتهم كان يتجاوز المائة والستين وكانت تشتمل على اكثر من عشرين الف كنيسة وعلى اربعمائة وستين دير بنيف؟ وهل غاب عن نيرتك عدد مدارسهم الشهيرة التي تثقف فيها الوف ممن برّزوا في شتى العلوم والمعارف ونخص بالذكر منها: مدارس قطيسفون والرها ونصيبين وانطاكية

فيا ايها القراء الافاضل قولوا لنا هل قرأتم عبارات كهذه يقدم على نشرها في الجرائد كاهن يتناول يومياً جسد السيد المسيح وهو يعلم حق العلم ان ذلك لا يختص الا بمن تعاطى فن التوليد وعلم الطب ؟

ثاني عشر — مخالفة قرألي ومغالطته ايانا في جميع ما نكتبه

تعوّد الخوري بولس قرألي في مناظرته ان يخالفنا ويناهضنا في كل ما كتبناه ونكتبه. فاذا روينا خبراً مهما كان نوعه تسرع الى تكذيبه وتشويشه كيفما كان. ان قلنا مثلا ان آل الخازن اصلهم من غسان كذبنا حالا وادّعى انهم من حسان. ونعتقد اننا لو قلنا ان اصلهم من حسان لناقضنا وقال كلا : بل هم من غسان. وهكذا دواليك في كل ما اثبتناه في كتابنا او في اجوبتنا.

ولعل هذا ناتـج عن حسد كما صرّح لنا بذلك بعض الذين عرفوه عن كثب لاننا سبقناه على تأليف كتابنا « اصدق ما كان » فكان ذلك من جملة الدواعي التي حملته على اثارة هـذه الضجة المصطنعة والحط من شأننا وشأن كتابنا في مناقشة علنية على صفحات الجرائد. غفر الله له ونفعنا ببركة صلواته الكهنوتية .

ثالث عشر — تكذيب قرألي في ما نسبه الى البطريرك رحماني عن كنيسة اهدن

من جملة مزاعمـه اننا استندنا في ما كتبنـاه عن كنيسة مارجرجس ومار ابجاي وستنا السيدة العذراء في اهدن الى البطريرك افرام رحماني المغبوط. والحال ان هذا البطريرك لم يتعرض في كل كتاباته وتآليفه الجمة الذائعة الصيت شرقاً وغرباً لذكر هذه الكنيسة ولغيرها من كنائس لبنان القديمة والحديثة . وجل ما قلنـاه عن هذا البطريرك ما يأتي : « انه في السنة ١٨٩٩ تعهد مكتبة دير مار شليطا مقبس بكسروان وعثر فيها على مخطوطة كرشونية حوت اخبار الشهداء والقديسين بينها خبر مار ابجاي . فاستنسخها لما فيها من الفوائد »

فزاد الخوري بولس من دماغه اسم المطران بطرس ديب . مع ان كتابنا من اوله الى آخره خال من اسم هذا الحبر الجليل. فانظر يا هذا الى اي حد يتصل التزوير والتمويه والكذب .

امـا سريانية هؤلاء السادة الاحبار المـــار ذكرهم، فقد اثبتنا ها في كتابنا « اصدق ما كان » فنحيل روّاد الحقيقة الى مراجعتها

عاشراً — مقابلتنا شتائم قراألي باللطف والمجاملة

بالغ الخوري بولس قراألي في التهكم والازدراء بنا وبكتابنا حتى جعـل يحذّر قارىء البيرق بتاريخ ١٥ تشرين الاول عدد ١٨٥١ ان يسألنا عن موضوع من مواضيع كتابنا فقال «اياك ايها القارىء العزيز ان تتجاسر على سؤال الفيكنت مثلنا فيغضب عليك كما غضب علينا ويمطرك بشتى الشتائم ».

قلنا في تهديد مناظرنا هذا يصح المثل القائل: «ضربني وبكى وسبقني فاشتكى» فهو الذي سخط علينا وهو الذي سبق فشتمنا. اما نحن فلم نقابله على سخطه وشتمه الا باللطف والمجاملة كما يتضح من اجوبتنا التي اطلع عليها جميـع الذين تتبّعوا هذه المناقشة التاريخية .

حادي عشر — اقدام قراألي على نشر عبارات لا تتناسب وثوبه الكهنوتي

لم يخجل الخوري بولس من ان ينشر على صفحات الجرائد عبارات لا تتناسب وكرامته الكهنوتية وهو يعلم ان قراءها هم من مختلفي الطبقات فقال : « ان الفيكنت انتحل مهنة دكتور مولّد يولد العجائب. .. ويقدم على عملية التوليد من بطنين بمهارة نادرة . . هذه العجيبة التي لم يقدم عليها حتى الان خـالق الكائنات عز وجل قام بهـا حضرة النطاسي البارع الدكتور فيليب دي طرازي وسجلها في كتابه ! » .

ثامناً — قرألي يستهزىء بالمعابد ويصبو الى العظمات الفارغة

استتلى الخوري بولس يقول : « فاخذ الفيكنت يروغ ويضل الطريق ويخبط في براهينه خبط عشواء ويكبو حتى حرنا كيف نقوده ... ومع ما نفحه الله من اتقاد الذكاء يتكفّل بتحدراسرة الحلو وتنسيلها... فنقترح عليهم انيتضافروا مع ملته ... ويقيموا له تمثالا ان لم يكن من نحاس يصـارع الدهور والعواصف والزلازل ، فعلى الاقل من المرمر النقي ينصبونه في باحة كنيسة خندق الغميق ببيروت او في ساحة مدرسة الشرفة ... »

قلنا هل من تهكم افظع من هذا وهل من تعصب ذميم دميم اشنع من هذا التعصب يبديه كاهن يخدم مذبح الله القدوس؟ وهل يجهل الخوري بولس ان كنيسة السريان في بيروت التي سمّاها من باب الاستحقار كنيسة خندق الغميق هي مؤسسة تيمّناً باسم مار جرجس الشهيد ؟ وليعلم ان آل الحلو وابناء طائفتنا الاعزاء هم ارفع من ان يفتكروا مثله في اقامة تمثال لنا . فهذا الاقتراح لايدل الا على صغر نفس مقترحه الذي يصبو الى العظمات الفارغة والفخفخات الباطلة !!

تاسعاً — التزوير والتمويه والكذب في اقوال قرألي

ظـل الخوري بولس يوغل في تهكمه وازدرائه فكتب في البيرق عدد ٤٨٥٠ يقول : « ما زال الفيكنت يتنصل على صفحات الجرائد من جرائمه هذه الثابتة عليه ويرغي ويزبد ويقذف بالشتائم كل من تجاسر عـلى معارضته وتبيان مغالطاته وتناقضاته وتحريفاته وتزويراته . . ويوجه ضربته الى آل ريشا ... فتخفيفاً عـن سيادة المطران الياس ريشا مصابه نذكره بان فضيلة القاضي (اعني طرازي) قد ساواه بزملائه اصحاب السيادة المطارين عبدالله خوري وبولس المعوشي ويوحنا الحاج وبطرس ديب ... »

سادساً – قرائي يتهمنا بما هو معروف وثابت عنه

كتب مناظرنا بتاريخ ٢٧ و٢٨ ايلول عدد ٤٨٣٦ من البيرق يقول : « ولو شئنا تعداد جميع مبالغات الفيكنت وتهوراته وتخيلاته واختلاقاته ومناقضاته لملأنا منها مجلدات ضخمة ... ويسأل القراء ان يعذرونا على ما نسبناه اليه وهو القليل من الكثير » . قلنا : اين ادعاء الخوري بولس وتهوره هذا مما صرح به في العدد ٤٨١٢ من هذه الجريدة وهو : انه لم يمس شخصنا بكلمة خارجة عن حدود اللياقة؟

هل رأيتم ايها القراء الافاضل شططاً افظع من هذا ؟ او مبالغة اشنع مما قاله ؟ الا تصدق تلك المبالغات والتهورات والتخيلات والاختلاقات والمناقضات على تطرفه وعلى عجبه وخيلائه الخارجة عن اصول المنطق ؟

سابعاً – تجاوز قرائي حدود اللياقة والادب

وكتب بتاريخ ٣–٤ و٥ تشرين الاول يقول : « يكفي الفيكنت ان يشم رائحة يعقوبية تبعد عنه آلاف الاميال ليزكيها وينفخها ويعززها ويجعلها تمر بسكان مدن وقرى ... ليحوّلها جميعها الى عنصر يعقوبي . وهذه الرائحة على ما يظهر من مفعولها اشد فتكاً من القنبلة الذرّية ... »

قلنا : يتضح لمن يتمعن في هذه العبارات انه لا صلة لها بالمناقشات العلمية لكنها صادرة من قلم مسموم ملطوخ بالعداء والضغينة وروح الانتقام خلافاً لما يأمر به الدين المسيحي وما يفرضه المنصب الكهنوتي من المحبة لا للقريب فحسب بل للعدو ايضاً . اما كوننا «نشم رائحة يعقوبية تبعد عنا الاف الاميال» فللخوري بولس في ذلك مغزى بعيد نرجو من علماء الحيوان ان يحلوه لهذا الكاهن الذي تجاوز حدود الحرمة والمنطق ! ...

ان تدعي بانه ليس من اهل العلم وانت صديقه وجاره في مصر الجديدة واعلم به منّا ؟ فما قولك يا حضرة الخوري بولس في شهادة هذا الفيلسوف اللبناني الذي امعن في كتابنا « اصدق ما كان » ووصفه وصفاً محكما منّزهاً عن كل غرض حتى انه عدّه موسوعة فريدة من نوعها في التاريخ الشرقي ؟

خامساً — قلة احترام قراألي للعزة الالهية

ثم كتب الخوري بولس بتاريخ ١٣ و ١٤ ايلول عدد ١٨١٤ يقول : ان الفيكنت طرازي «حشا الجزئين الضخمين من كتابه كثيراً من المغالطات والتخيلات والسفاسف والاوهام حتى مللنا قراءته ... فلا يسعنا السكوت عن تبجحه بفضل اجداده اليعاقبة ... الى ان قال : ان اعجوبة تحويل الماء خمراً لم يجترحها سوى السيد المسيح له المجد . اما اجتراحها من حضرة الفيكنت فلم يتم الا في مخيلته »

فجوابا على هذه المقابلة المستنكرة ليس لنا الا ان نستفتي اباء المجمع التريدنتيني المقدس ليفتونا ويبدو حكمهم الفصل في من يستعمل آيات الكتاب الكريم في غير محلها ولا سيما اذا قابلها مثلما قابلها مناظرنا وختم هذه المقابلة الى مغالطات وتخيلات وسفاسف واوهام لم يخجل ان يلحقها بكتابنا . وغير خاف ان مناظرنا استعمل فعل «اجترح» بمعنى صنع . مع انه في كتب اللغة انما يطلق فعل اجترح على الجرائم والآثام . ولم يكتف الخوري بولس بهذه المقابلة بل اردفها بقوله : « فندك اركان كتاب الفيكنت واحداً واحداً مستعينين بالله وبالمعاول التاريخية التي بين يدينا » .

قلنا : هل من تعبير يدل على قلة الاحترام في مثل استعانة مناظرنا بالله جل جلاله وبالمعاول في عبارة واحدة ؟ الا يدل ذلك على الخفة وعلى عدم التروي ؟.

حسنة نذكرها . ولا يسعنا تثقيل ضميرنا بتقريظ مصطنع او مأجور . . . اما اهل العلم الذين ينشر تقاريظهم فليسوا باهل علم لان جميع مـا تضمنه كتابه تلفيق لا يثبت عـلى النقد بل ينهار امامه كقصور من ورق . . . وهب اننا حقرنا شخصه واجداده فيكون هو المسئول عن تعريض نفسه وتعريضهم للتحقير . ونكون قد قابلناه بالمثل . . فهو الذي قد هـــاجم ونحن دافعنا . والبادي بالشر اظلم . . . فليصن لسانه من الشر لان ذلك اشرف له وابقى على حرمة شيخوخته » .

تبـّحر ايها القاريء في هذه العبارات القارصة اللاذعة المشحونة بالتهكم والسخرية والاستهزاء والتعرض لنا ولأجدادنا وقل لي بعد ذلك : هل في هذه الالفاظ شيء يدل على المزايا الكهنوتية ؟ او عـلى اصول المناقشة العلمية ؟ والا فلماذا التحقير والتهكم ؟ وهل بدأنا نحن بالشر ام هو واعوانه بدأوا به ؟ اليسوا هم الذين نشموا يطعنون علينا وعـلى كتابنا في الصحف السيارة ويتحكمون فينا وفيه برأي نفوسهم فقط ؟

رابعاً — ادعاء قرألي باطلا بان الذين قرظوا كتابنا ليسوا باهل علم

اما قولك عن الذين قرظوا كتابنا بانهم ليسوا من اهل العلم . فقولـك هذا مردود من اساسه لانك تجهل اسماءهم ومكانتهم في الدين والدنيا . وبينهم بطاركة واساقفة وعلماء اعلام سننشر تقاريظ بعضهم في آخر هذا الكتاب . فهل انت اعلم من هؤلاء جميعاً وادرى منهم بالمعرفة؟ فلماذا هذا الادعاء الفارغ والغطرسة والحط من الكرامات ؟

فثوبك الكهنوتي يحتم عليك ان تكون حليما وديعاً متواضعاً مهما علا شأنك وعظم مقامك . وهل يتناول قولـــك هذا حضرة المحامي الشيخ نسيب وهيبه الخازن اللبناني[1] الماروني صاحب التآليف العديدة واستاذ الفلسفة في القاهرة منذ ربع قرن ؟ وهل في وسعك ان تنكر على هذا الشيخ مقامه العلمي ؟ وهل تتجاسر

ابرشيات وكنائس واديار واوقاف ومخطوطات قديمة ثمينة وما في حوزة ابنائها من عقار وزرع وضرع كان ملكا لاجداده اليعاقبة ... وان الموارنة مدينون لهم بكل ما في ايديهم من ارزاق وما في عقولهم من ثقافة دينية وادبية. وهم يعيشون من خيرهم ونعمتهم ... »

ان اعترافك الصريح ياحضرة الخوري بولس باننا كدّسنا المراجع التاريخية في كتابنا اوجب شكرنا وثناءنا . ولكنك مع الاسف اردفتها «بالمظان والاوهام» لتوهم القراء بان تلك المراجع واهية لا قيمة لها ولا اعتبار .

ولكن يجب ان تعلم ان كل ما اوردناه في كتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » لم نستنبطه من مخيلتنا كما تدعي بل نقلناه بكل حرص وامانة عن كتبة مدققين ومؤرخين محققين يشهد لهم الموارنة قبل غيرهم بصحة الرواية .

ونحن بدورنا استندنا الى ما دوّنه اولئك المؤرخون الصادقون فاثبتنا كل رواية بمراجع راهنة لا تقبل تأويلا او تعديلا .

فالى من تريد ايها الاب المحترم ان ننسب تلك الاديار والكنائس التي شيدت في العصور النصرانية الاولى او قبل هجرة الموارنة الى لبنان ؟ فهل تريد ان ننسبها الى التتر والمغول اجدادك ام للوثنيين وعباد الشمس والنار ؟ ام الى غيرهم بشرط ان لاننسبها الى اجدادي اليعاقبة الذين تتحامل انت عليهم بكل فرية وتلصق بهم جميع النعوت المستقبحة التي لا تنطبق على سلامة الذوق وكمال المحبة المسيحية .

ثالثاً — نعرض قرائك لنا ولاجدادنا بالتهكم والسخرية

ثم قال حضرته : « فليحلم علينا حضرة الفيكنت ويهدىء من فورات غضبه . . فاذا كان لقب اليعاقبة شريفاً ... فلماذا يغضب اذا نسبناه الى جدوده ؟ واذا كان عاراً فلماذا ينسب اليه جدودنا ؟ فنحن نصرح بغاية الاسف اننا لم نجد فى كتابه

« اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » فيجرحون عواطفنا وعواطف طائفتنا وطائفة اخوتنا السريان اليعاقبة. مع اننا لم نكتب كلمة واحدة تحاكي كلماتهم او تجرح عواطف احد من الموارنة سواء أكان في كتابنا المشار اليه ام في مقالاتنا على صفحات الجرائد.

بمثل هذه القوارص اللاذعة يحاول اخصامنا ان يطيّنوا عين الشمس ليستروا الحق وينكروا اليوم ما كتبوه في الامس . ومصداقاً لما نقوله رأينا ان نلمح الى بعض ما كتبوه من هذا القبيل .

بادهنا القس بطرس كرباج في ١٣ تموز فنشر على صفحات البيرق عدد ٤٧٨٣ بعنوان « كتاب الفيكنت طرازي الجديد طعنة نجلاء في صميم المارونية .» فقال بلسان « اهل العلم والتاريخ في الكنيسة المارونية » ان الغرض من وضع كتابنا « هو الدس والطلي على الحقيقة والمنطق والبرهان والاعتداء الجلي على الكرامة... وانه مجموعة من الاضاليل والاوهام والفريات والمغامز لا تمتّ الى شيء من الحق والصواب ... وان البطريرك الرحماني المثلث الرحمات كان من الانصار للمطران يوسف داود ومساهماً في الكيد للموارنة من وراء الستار » .

تلك لهجة الراهب بطرس كرباج وفيها ما فيها من اطالة اللسان . ونحن نترك الحكم في ذلك لبطريركيه المغبوط ولرئيس رهبنته الموقر . وقد ثبت لدينا ان كاتب هذه المقالة هو القس اغناطيوس طنوس كفرشخنا ، وان المقام البطريركي الماروني الجليل قرّعه على تهجمه المستنكر . وغير خاف ان هذا الراهب عينه سبق فقرظ كتابنا « اصدق ما كان » ونشرنا تقريظه في الصفحة ٢٨ من هذا الكتاب.

ثانياً – شطط قرألي في ما نسبه زوراً الى كتابنا من المظان والاوهام

قال الخوري بولس قرألي : « أطلعنا على الجزء الاول من كتاب الفيكنت فالفيناه يكدّس المراجع والمظان والاوهام ليثبت ان كل ما للطائفة المارونية من

معرفة اصل الاسرة وتاريخ دخولها لبنان وانضمامها الى المارونية ولو بوجه التقريب، فجاءت اساساً يبنى عليه او ينقض ويبنى غيره والعبرة ليست بكثرة الكلام . اما حضرتك فتنفي ولا تثبت ، تنكر ولا تعرف ، تنقض ولا تنشيء ، وتخرب ولا تبني !! . .

انكرت ان يكون موسى غانم جدنا بل شككت بوجوده ، وانكرت ان يكون آل غانم وسعاده ومطر وضو من اصل واحد بزعمك ان ذلك ترهات واوهام . فكأن القس مارون البشراوي ومحمد كرد علي وغيرهم كاسكندر عيسى المعلوف والبطريرك بولس مسعد والمنسنيور بطرس حبيقه وابرهيم الجر وجميع من استشهدنا باقوالهم، وكأن الاوراق العائلية القديمة وسجلات الكنائس والمطرانيات وغيرها ليست شيئاً في نظرك لانك انت وحدك تعرف وغيرك لا يعرف . هدمت ولم تبن ، لم تقل لنا من هو جدنا ومن اين اتينا ? وتريد ان نكون بلا اصل وبلا تاريخ مجهولي النسب !! بشرط الا نكون من اصل يعقوبي . . اعمى الغرض بصيرتك وغرقت بسخيف الكلام ظناً منك انه يدل على غزارة العلم وسعة الاطلاع ويحمل الناس على تصديق ما تزعم وهو انما يدل على قلة التدقيق وعلى غير ذلك مما نربأ بحضرتك عنه .. ساعة حدة وتهيج اعصاب وانقضت .. اليس كذلك يا محترم؟»

الفصل الواحد والاربعون

استعراض عام للتزويرات التي اقترفها قرألي واعوانه

اولا – اطالة لسانه القس بطرس كرباج والقس اغناطيوس طنوس كفرشيما وتعنيف البطريرك الماروني لهما

من المدهشات المذهلات ان الخوري بولس قرألي واعوانه ما زالوا يماحكون ويحاولون تزكية نفوسهم من التزوير والتهم التي يقذفونها في حقنا وفي حق كتابنا

قال قرألي نفعنا الله بحكمته وادبه في رده عـلى الفيكنت (بجريدة البيرق الغراء) :

« ما توهمه السيد نصري لحود ... عن موسى غانم جدها المزعوم ... انه كان من اتباع الملك المنذر .. نزح في القرن الرابع عشر وقد نبهه الفيكنت الى خطأ هذا الزعم . ومع فظاعة هذا الخطأ الدال على الرجم في الغيب. » ثم قال : « هل يحق له (الفيكنت) ان يستند الى كراسة ادعى صاحبها ان جده عـاش سبعمائة سنة ؟ الى ان قال : ايستطيع الثور ان يستند الى قصبة مرضوضة؟ » والافظع من كل ذلك انه شك بوجود موسى غـانم وطلب من مناظره اثبات كون موسى شخصاً حقيقياً لا خيالياً ... »

فيا حضرة الخوراسقف المحترم، الم تراجع ما كتبت قبل ان تنشره. ؟ ان كان ذلك كذلك، فهو جهل بسيط ، وان كنت راجعت واصررت فهو جهل مربع ، وان كنت تعتقد بانك كتبت بحق هذه العبارات دون ان تقرأ بذاتك ما كتبت عنه وبخـــاصة لانك شككت باقوال الفيكنت فهو جهل مكعب . وان كنت طالعت كراستي الحقيرة و كتبت وراجعت واصررت فنشرت فهو جهل لا يسمى . عفواً يا محترم فانني لا اعرف اسمي الاشياء بغير اسمائهـــا . لم اعز اليك الجهل و كهنوتك مقدّس عندي ، بـــل قلت : ان كنت فعلت كذا ففعلك يقال له كذا . . .

وازيدك تكراراً ان « الوجود مهما كان ضعيفاً اولى من العدم » وانك هدمت ولم تبن فخالفت هذا المبدأ الصحيح . ان الجدل والنقاش حول موضوع لا يقوم بالنفي المجرّد دون مقابلة باثبات ضد المنفي وذلك بالبرهان السديد . فلا يكفي ان نقول مثلا ان آل ضو ليسوا من اصل يعقوبي بل عليك ان تقول بعد : بـــل هم بالاصل عبدة اصنام او غـير ذلك بدليل كذا وبرهان كذا . . . ان تلك القصبة المرضوضة ، وهي كراستي الحقيرة ، على زعمك، حصل منها شيء عـلى الاقل وهو

ومؤرخيها الاجلاء فناقض ما كتبوه هم عن اصل اسرهم الكريمة وعن تسلسلها مستعملا في ردوده لهجة يتبرأ منها اولئك الاحبار والجهابذة الميامين رضوان الله عليهم اجمعين. هكذا تجاسر الخوري بولس قرالي ان ينكر صلة البطريرك البار ارميا العمشيتي بالاسرة الدويهية وينقض ما كتبه العلامة الدويهي الكبير عن شجرة اسرته بخط يده. ويدّعي ان بطاركة آل الخازن واساقفتهم السبعة ليسوا من غسان. ويتطاول على اسرة شاهين المشروقي مدعياً انها انقطعت بمقتل اولاد جدهم المقدم يوسف خاطر. ويزعم ان البطريرك يوحنا الحلو لا يتحدر من الشيخ جمعه العنحلي.

فهؤلاء البطاركة المغبوطون وسائر الاحياء والكهنة والمشايخ والاعيان والعلماء والمشاهير الذين خلدوا للطائفة المارونية صفحات ذهبية وذكريات جميلة ساخطون بلا ريب وحانقون على هذا الخوري الذي انتفض يدلع لسانه متبجحاً بان كل ما كتبوه عن اسرهم لا يعول عليه ولا قيمة له. وهم يقرعونه اشدالتقريع على جسارته وتطاوله وينبذون افتراءاته نبذ النواة وينصحون لآلهم وانسبائهم ان يضربوا بكتاباته كلها عرض الحائط.

الفصل الاربعون

رد نصرى بك لحود على قراألى

(البيرق ٢٥ و ٢٦ ت/١ ١٩٤٨)

لما كان الخوري بولس قراألي قد شط في ما كتبه عن اسرة ضو المنتسبة الى جدها الأعلى موسى غانم وانكر وجوده مدّعياً انه شخص وهمي. ولما اطلعت اسرة ضو على هذا الافتراء نهض رئيس جامعتها نصري بك لحود وكتب مقالا ندّد فيه بالكاهن المشار اليه وعنفه لهذا التحامل الذي شوّه فيه حقيقة التاريخ. ونحن ندوّن هنا بعض ما جاء في مقال نصري بك نقلا عن جريدة البيرق بتاريخ ٢٥ و٢٦ ت/١ ١٩٤٨

الطائفة المارونية يحتجون باعلى اصواتهم على الخوري بولس قرألي الذي قام ينكر ما اثبته امام المؤرخين وما كتبه البطاركة والاساقفة والمؤرخون عن اصـل الاسرة المشروقية وعمن تفرع منها الى يومنا هذا .

فكل الاساليب التي تذرع بها الخوري بولس قرألي برهنت عن فشله وعجزه عن دحض ما اوردناه في كتابنا « اصدق ما كان » ونقض ما سطرناه في اجوبتنا من الحقائق التاريخية على صفحات «البيرق» وجاءت مناوراته الفارغة جعجعة بدون طحن . لانها من فاتحتها الى خاتمتها اقاصيص وتهكمات وهزليات لا دخـل لها بموضوع كتابنا . دع ما حوته من مثالب وسخريات ومهازل يشمئز التلفظ بها كل ذي دين ومبدأ صحيح .

وقرأنا في مجلة «المنارة» تحت عنوان «الموارنة في لبنـان اقدميتهم واسرهم» مجموعة الردود التي نشرها الخوري بولس على صفحات « البيرق» . ولما طالعناهـا رأيناه قد غمّض خجلا عن ذكر الاسرة المشروقية التي فشل في اثبـات ما كان اورده عنها بانها انقرضت بمقتل اولاد الشدياق خاطر وغمّض ايضاً عن نشر حقائق تاريخية عديدة شط فيها عن الصواب فاوضحناها له في ردودنا عليه .

كما انه في هذه الطبعة الجديـدة خفف بعض الشيء من ذكر عبارات الهزء والشتائم والمثالب التي لامه عليها العقلاء لانها حطت في كرامة الكهنوت المقدس .

الفصل التاسع والثلاثون

اعتداء قرألي على كرامة بطاركة طائفة الراحلين وتقريعه على ذلك

مما لا بد لنا من الاشارة اليه ان الخوري بولس مناظرنا قد تجـاوز الحد في الاعتداء لا علينا فحسب بل على بطاركة طائفته المغبوطين وعلى اساقفتها وعلمائها

فمن هذا النص الصريح يتلخص ان جرجس رابع اولاد الشدياق خاطر لم يقتل مع اخوته الثلاثة بل ظل حيا . ومن ثم فدعوى الخوري بولس قرألي بان اسرة شاهين المشروقي انقطعت بقتل اولاد المقدم يوسف خاطر الثلاثة هي باطلة من اساسها .

ونضيف الى ذلك ما كتبه المطران اوغسطين البستاني في مجلة المشرق (٢٨ : ١٩٣٠ : ٧٢١) عن نسب البطريرك بولس مسعد سليل شاهين المشروقي .

وما كتبه الخوري جرجس منش في مجلة المشرق ايضاً (٧ : ١٩٠٤) في كلامه عن نسب المطران جرمانوس فرحات . فيتضح من ذلك جليا ان آل مسعد يتحدرون من شاهين كما يتحدر منه ايضاً آل عواد وآل السمعاني وآل فرحات وآل الشدياق وسواهم ، مثلما فصلنا في كتابنا «اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » .

اخيراً استفهم الخوري بولس قرألي قائلا : هل يعرف البطريرك بولس مسعد اكثر من البطريرك الدويهي الذي كان معاصرا تقريبا لهذه الحوادث ويعرف جيدا اذا كان باقيا في عهده نسل لاسرة المشروقي ؟ .

فجوابنا علــى هذا التشويش الذي اختلقه الخوري بولس في ذرية الاسرة المشروقية وعلى زعمه انها انقطعت بقتل اولاد المقدم يوسف خاطر الثلاثة انما هو باطل من اساسه ، يؤيد بطلانه ما اورده البطريرك بولس مسعد عن انساب اسرته ، وتأييده هذا لا يختلف عن نص البطريرك الدويهي الذي اثبتناه آنفاً .

فالى اين المفر يا حضرة الخوري بولس قرألي ؟ وكيف اجاز لك ضميرك ان تلغي من عالم الوجود ذرية شاهين المشروقي الصددي التي انجبت احباراً وايمــة وجهابذة خلد لهم التاريخ في صفحاته اجمل الذكريات واروعها ، وها هي ذراريهم منتشرة لا في لبنان وحده بل في مختلف الاصقاع والبلدان . وهم مع لفيف ابنـاء

نحن من كيسنا لفظ « لبنان » الى الاصل كما زعم الخوري بولس قرألي اذ قال « كيف نتثبت من ان اسم لبنان ليس زيادة من (الفيكنت) على اسم الحدث؟ »

اما لاونطي الحدثي اللبناني السرياني المذكور في المخطوطة فهو سميّ للشهيد لاونطي السرياني الذي يقيم له السريان تذكاراً مع ابينا مار افرام في ١٨ حزيران وقد تم جهاده واستشهاده في طرابلس المدينة اللبنانية. وذاع ذكره في لبنان وطنه ثم في جميع الكنائس شرقاً وغرباً . هلا ترون ايها القراء الاحباء ان لفظ لبنان في مخطوطة لندن المذكورة ملازم لاسم الحدث ، وهل يستطيع الخوري بولس قرألي ان يشك في هذه التصريحات الجلية الواضحة ويتفلسف مدعياً اننا اختلقنا لفظ لبنان من عقلنا واضفناه ههنا الى اسم الحدث ؟

الفصل الثامن والثلاثون

تكذيب قرألي بانقراض اسرة شاهين المشروقي ومغالطته للبطريرك بولس مسعد

قال الخوري بولس قرألي : « نبهنا حضرة الفيكنت ان البطريرك الدويهي يقول عن اسرة شاهين المشروقي الصددي اليعقوبي النحلة انها لم تنقطع بمقتل اولاد المقدم يوسف خاطر الثلاثة »

قلنا : هذا تحريف آخر يرتكبه الخوري بولس قرألي . فان البطريرك الدويهي عينه كتب في الصفحة ١٩٢و١٩٣ من تاريخه يقول ماحرفه : «سنة ١٦١٣ فيها كان مقتل رعد بن الشدياق خاطر الحصروني .. ولان نعمة وداود وجرجس اولاد الشدياق خاطر كانوا يزيدون في ضمان البلاد على ابي عاشينا شلهوب تآمر عليهم عاشينا مع الحاج سليمان الملكي كاتب الديوان حتى يوسف باشا قبض على نعمة وداود وحبسهما .. ثم امر فخنقا وزجا في بئر الازهري ».

اجبناه عليه غير مرة والظاهر انـه لم يفهم جوابنا او بالحري لم يشأ ان يفهمه . فاقتضى ان نعيد الكلام قائلين :

ان السريان الذين استوطنوا لبنان قديماً واقاموا فيه . هم سريان اقحاح وليسوا يعاقبة ولاموارنة ولا ملكيين ولا نساطرة . وهم الذين اسسوا في لبنان عدة اديار في القرن الخامس . اعني قبل ظهور اليعاقبة . نذكر منها دير الراهب الرهاوي في فجر القرن الخامس ودير ربولا السميساطي في عهد زينون ملك الروم (٤٧٦ - ٤٩١) . ودير القديسة مطرونـا ودير بيروت ودير الراهب الاسطوني في القرن الخامس ودير الفلسفة الحقيقية في طرابلس قبل السنة ٤٨٧ ودير مار ادنا في العاقورا سنة ٥٠٩ (طالع كتابنا اصدق ما كان صفحة ٢٧٢ - ٢٧٥ و ٢٨٠ و ٢٨٢) .

اما دير لاونطي في حدث لبنان فقد جرى تأسيسه في القرن الخامس او اوائل السادس . وهذه حقيقة تاريخية استنتجناها من مخطوطة ثمينة تعد اقـدم مخطوطة سريانية خطت في لبنان . نسخت في السنة ٥٠٩ للميلاد وهـذه المخطوطة النفيسة محفوظة في خزانة لندن تحت الرقم ١٤،٥٤٢ فنرجو من القراء الاعزاء ان يتبحرّوا في ما ننقله عنها ثم يصرّحوا هل الحق معنا ام مع خصمنا الخوري بولس قرألي وهذا تعريبها الحرفي :

« انا يعقوب الراهب الآمدي نسخت هذا الكتاب كل من يقرأه فليصل علي . صلوّا عـلى الناسخ امـين . اذكروا جميع اخوتنا الرهبان الساكنين في الحضر والمدر . . . اذكروا مـار ملكا (الراهب) والمسيح مخلصنا يترأف عليه في يوم الدين آمين . . . اذكروا لاونطي الذي هو من حدث لبنان . لانه بحضوره تم هذا العمل ودعت الضرورة لنسخ هـــذا الكتاب . مـار حلفاي الزاهد الساكن في لبنانـ » .

هذا هو النص السرياني الوارد في مخطوطة لندن المشار اليها . فهل يسوغ بعد انعام النظر فيه ان نتردد او نشك في نساخة الكتاب في حدث لبنان وهل اضفنا

الفصل السادس والثلاثون

بذاءة قرألي في مناقشاته العلمية

كسدت بضاعة الخوري بولس قرألي فانقلب يكرر ذكر « الحدث » واسرة شاهين المشروقي على صفحات « البيرق » بتاريخ ١٥و١٦ ت ٢ عدد ٤٨٧٨ فقبل جوابنا وابداء حكمنا راينا ان نلخص للقراء الافاضل بعض جمل مستظرفة كتبها هذا الكاهن كمألوف عادته قال : « ان عادة التحريف امست في (الفيكنت) عادة تملكته تمليك تلك الحشيشة بالحشاش » .

واردف يقول : « ان كلامنا في موضوع آل مسعد كان ثقيلا على معدة (الفيكنت) . فلم يهضمه كما لم يهضم اجداده اجدادنا حين ابتلعوهم عند هجرتهم الى لبنان » وختم يقول : « فللفيكنت ان يتنحى جانبا – عندما نأكل الكبة – ويشمشم من بعيد .. »

تلك لهجة الخوري بولس الظريفة اللطيفة وهذه هي هزلياته ومداعباته وتهكماته في معرض مناقشة علمية . استعرضناها ازاء القراء ليبدوا رايهم فيها وفي الكاهن قائلها .

الفصل السابع والثلاثون

سكان قرية الحدث الاصليون (اي حدث الجبة)

كانوا سريانا اقحاحاً خلافاً لزعم قرألي

اما انقلابه الى ذكر دير السريان في الحدث وذكر آل شاهين المشروقي فقد

من هم هؤلاء السريان الاقحاح اذا لم يكونوا موارنة ولا ملكيين ولا يعاقبة ؟ هل يعني (الفيكنت) بهـذا اللقب النساطرة ؟ ام انهم كانوا ملائكة غـير منظورين هبطوا من السماء؟ او شياطين خرجوا من نار جهنم لابسين القبع الاخفى ؟ . . قلنا ونكرر القول : ان السريان هم الذين استناروا باضواء الانجيل الكريم قبل ظهور الملكيين والموارنة واليعاقبة . وهم الذين عزروا لبنان بمناقبهم الشريفة وتعاليمهم السديدة وسيرتهم الصالحة قبل قدوم الموارنة اليه .

وختم الخوري بولس رده بقوله: « فاخذ (الفيكنت) يخبط رأسه في الابواب الموصدة . ولما لم تفتح له لم يعد يعي ما يقول وما يفعل . فالفيناه يزوغ ويهزي ويعثر حتى تهشم تهشيما واصبح احق بالشفقة المسيحية منه بالشماتة » .

بهذه العبارة المستكرهة ختم الخوري بولس رده هذا . فيا ايهـا القارىء الكريم قل لي : هل من شتيمة او سخرية افظع من هذه يوجهها هذا الخوري الينا مدعيا باننا لم نعد نعي ما نقول ومـا نفعل ! بل اصبحنا في عينه فاقدي الشعور لا ندري اين نسير ولا ماذا نتكلم ! ثم يصرّح حضرته بانه من الان فصاعداً يكف عن الشماتة بنا . فتصريحه يبرهن على كونه سبق فشتمنا ونحن لم نباده بالشتائم. غير ان حضرته ينتبه بعد ذلك كله الى مقامه الكهنوتي فيبدي الشفقة علينا . .

لعمري الا يبكته ضميره على تلفظه بمثل هـذه الاقوال القارصة الجارحة ؟ الا يشعر بانه خالف ويخـالف الروح المسيحي فضلاً عن الروح الكهنوتي الذي يأمر بالمحبة واللطف والمجاملة؟ ما قول القراء الاعزاء في كاهن يستعمل التهكم والسخرية في كتاباته ؟ ويستحقر القريب ويعتبره كالسافل والمغلوب والمعتوه والجـاهل ؟ ويعتقد فوق ذلك ان السريان الاقدمين شياطين خرجوا من نار جهنم لابسين القبع الاخفى!. تباً للتعصب الاعمى الذي يجر صاحبه الى افظع من هذه الالفاظ واشنعها!

التهمة المستنكرة هو اولى بان تشمله هذه الكنية وتتلبس بجسمه ولا تفارقه حتى آخر رمق من عمره . وهل غاب عن ذهنك يا حضرة الكاهن الموقر ان الكنيسة الكاثوليكية المقدسة تتحاشى استعمال هذا اللفظ الشنيع وتستكرهه ؟ ولكن هو تهوسك وتعصبك قد حملاك ان تطلق مثل هذا اللفظ على من هو راسخ في الايمان الكاثوليكي ابا عن جد، بل اقدم منك ومن اجدادك في هذا المعتقد القويم ...

والآن رأينا ان نستعرض ازاء القراء ما خطه قلم هذا الخوري في رده الاخير بتاريخ ٨ و٩ تشرين الثاني بعدد البيرق ٤٨٧٢ وندع لهم الحكم فيه لنرى من هو المحرّض والمغالط فنقول : قال الخوري بولس : « لجأ الفيكنت الى ثلاث وسائل لا تشرفه : الشتم والتحريف والمغالطة . ولطخ اعمدة هذه الجريدة النظيفة وآذان القراء بشتى الشتائم والالفاظ المستهجنة حتى عددنا في عامود واحد احدى عشرة شتيمة ..»

قلنا اننا لم نشتم الخوري بولس قط وهذه اجوبتنا تؤيد قولنا فليراجعها من شاء مراجعتها فيطلع على صدق كلامنا .

ثم كتب الخوري بولس يقول : « فاصبح كتاب الفيكنت سلعة فاسدة لا يسع المرء التخلص منها الا بقذفها في المذبلة » .

تلك هجة الخوري بولس الذي يحسب كتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » سلعة فاسدة يجب قذفها في المذبلة . مع انه اشتمل على الشيء الكثير من اخبار بطاركته واساقفته وكهنة واعيان طائفته . ليت شعري اي كاتب مهما كانت كتاباته ومهما كان مقامه او مركزه لا يسخط على خوري يتصل به الغرور حتى يحكم مثل هذا الحكم القاطع على كتابنا . وها هي خزائننا تحوي رسائل جمة توافدت الينا من اقطاب العلم والادب وهم يثنون على مؤلفاتنا الكثيرة المنتشرة بين ايديهم وفي جملتها كتابنا هذا الاخير . ثم راح الخوري بولس يتسائل قائلاً :

اللياقات الادبية والفروض الكهنوتية . وقد قابلناك نحن عليها بادق الاجوبة وارق العبارات والطفها .

٣ – طعنت بكل ما كتبه مؤرخو طائفتك الاجلاء عن اسرهم وقد نهض بعضهم عليك يعنفونك على تطاولك وعلى حكمك المزعوم . بان كل ما سطروه باطل لا قيمة علمية له .

٤ – جاهرت على صفحات الجرائد زاعماً ان كتابنا انما هو مدعاة الى مناقضة الطائفة المارونية الجليلة في عقائدها الدينية وتقاليدها الابوية حال كوننا لم نتحر من كل ما اثبتناه فيه الا توثيق عرى الالفة بينها وبين طائفتنا السريانية معتبرين كلتا الطائفتين السريانيتين رضيعي لبن واحد ومتسلسلتين من ارومة واحدة .

٥ – بالغت في تهييج الرأي العام بالتهويش والتشويش مفرطاً في قذف عبارات مخجلة للحط من كرامة طائفتنا وكرامتنا وتهشيم سمعة كتابنا المنزه عن كل نقص وعيب الذي شهد لحقائقه التاريخية ومنزلته العلمية غير واحد من ارباب الدين والعلم والتاريخ وقد عده فريق من مؤرخي الطائفة المارونية موسوعة ثمينة فريدة في بابها .

٦ – استحقرت الاسر المارونية الشريفة المتسلسلة من عنصر سرياني يعقوبي وانكرت دون برهان اصلها هذا القديم الذي هو بلا ريب اشرف بكثير من عناصر غيرها .انت ادرى الناس بها ولعلك تتحدر من بعض هذه العناصر كما المعت بذلك على صفحات البيرق بتاريخ ٤و٥ تشرين الاول عدد ٤٨٤١ .

٧ – لم تكتف بالكلمات البذيئة التي سودت بها الصحف السيارة ووجهتها الينا جهراً بل سوّلت لك نفسك الامارة ان تطلق علينا لفظ « يعقوبي هرطوقي » الى هذا الحد من القحة افضى بك تعصبك حتى سوغ لك ان تتعرض لايماننا ومعتقدنا؟ يا ويلك من الله العالم بسرائر القلوب . ونحن نصرح ان كل من يرشقنا بمثل هذه

شاء الخوري بولس الكاهن المحترم ان يختم بها روايته الهزلية الصبيانية ويحشوها كلمات امتهان وتحقير يترّفع عن كتابتها كل ذي ذوق سليم .

ولقد كان بوسعنا ان نقابله بالمثل بل باكثر من ذلك غير ان تربيتنا لم تسمح لنا ان نماثله او ننتهج منهاجه الاعوج . ذلك لعلمنا ان التاريخ هو من اجلّ العلوم قدراً وارفعها شأناً . وان المؤرخ الصادق يجب ان يتحلى في رواياته وكتاباته بالصدق والاخلاص والنزاهة والامانة فيورد اخبار الاوائل على علاتها متجرداً عن كل تعصب منزّهاً عن كل محاباة . غير ان الخوري بولس مناظرنا لم يتقيد بشيء من تلك المزايا السامية التي كان يجب عليه ان يحترمها ضنّاً بكرامة التاريخ وكرامته . انما رأيناه بأسف شديد قد شط في كل ما دونه فاستعمل الهزء والسخرية والتهريج والشتم بدلا من الجد والرصانة في مجادلة علمية بحتة .

الفصل الخامس والثلاثون

توبيخ قرألي على تلاعبه في التواريخ المارونية ورد كيده الى نحره

اننا نصارحك القول ياحضرة الخوري بولس المحترم انك بكتاباتك الهزلية الملفقة قد ارتكبت افظع جريمة ادبية عرفتهاطائفتك المارونية الجليلة لانك تلاعبت باخبارها الصحيحة وافسدت تواريخها الغابرة والحاضرة معا واليك بيان ذلك :

١ – قمت تدّعي انت واعوانك باسمها وعن لسانها زاعما ان كتابنا « اصدق ما كان» طعنة نجلاء في صميم الطائفة المارونية واننا لم نتوخ من نشره الا تقويض صرحها المجيد . اما نحن فنعتقد اعتقاداً راسخاً اننا بكتابنا المشار اليه اضفنا مجدا الى سالف امجادها ولا سيما بانضمام فريق صالح من شعبنا السرياني اليها .

٢ – جئت في ردودك بكل ما املته عليك مخيلتك المتسرعة من مثالب وشتائم وسخريات واكاذيب وتهكمات وهزليات تجاوزت في ايرادها حدود

علينا ذلك فنرجو منه ان يصرّح لنا باخلاص وامانة ودون مواربة ويقول لنا :
من اي بلد وفد الدويهيون الغرباء عن لبنان ؟
وما هو اسم البلد الذي وفدوا منه لكي نؤمن بكلامه ؟

الفصل الرابع والثلاثون

الخوري قراألي يهرف بما لا يعرف عن ألاسر المارونية

افرغ الخوري بولس قراألي جرابه كله مما حواه من بضائع كاسدة عن الاسر المارونية خالطاً حابلها بنابلها. سارداً اسماء اسر لا دخل لها في ابحاثنا ذاكراً كمألوف عادته كلمات هزل وتهكم وشماتة بنا وبكتابنا. وآخر ما نفثه قلمه السام في البيرق عدد ٤٨٦١ بتاريخ ٢٧ تشرين الاول تحت عنوان « اعـــلام الاشخاص والمهن والاوصاف والدين » ذكره اسرة باخس ودبس وصوما فقط زاعماً كسائر مزاعمه انها مارونية المحتد وليست سريانية الاصل . وقد اضرب عن ذكر اسرة المقدم مالك بن ابي الغيث وفروعها. واسرة السخن وفروعها . وقس عليها عنيسي واسرة زغبي واسرة ستيتة واسرة الحاج حسن واسرة ثابت واسرة عبد النور واسرة تيان وفروعهـــا وهي باجمعها كما اثبتنا في كتابنا « اصدق ما كان » سريانية الاصل ثم اندمجت بالملة المـارونية . ولا شك ان اضراب الخوري بولس وسكوته عن الاسر المذكورة آنفاً برهان قاطع مقنع عن عجزه وجهله معرفة اصولها. وقد ساقه غروره وطيشه ان يختم ردوده الفارغة الجوفاء باعلان لا يقدم على كتابته الا من كان خالياً من كل شعور وذوق وادب وتهذيب فاصدره بهذا العنوان التافه « اعلان من دائرة المحكمة الطرازية في بيروت » ووجه كلامه الى ضعفنا فقـال : « لولا حلم (الطرازي) ومخافة الله شعار اسرته لعلق في ساحة البرج على اعواد المشانق جميع المعارضين لاحكامه ... وفي وسطهم وفي اعلى مشنقة ذاك الذي تجاسر عـلى تهشيم كتابه وهو المتهوس المعروف باسم الخوري بولس قراألي » . هذه هي آخر عبارة

ومن جملة سخريات الخوري بولس توجيهه الخطاب الى صليبا الدويهي واعلانه على صفحات جريدة البيرق بتاريخ ٢٥ و ٢٦ تشرين الاول عدد ٤٨٦٠ ان يسألنا متهكماً « هل نؤمن بان معالي مكرم باشا عبيد السياسي الشهير القبطي المصري هو ابن عم البطريرك ارميا العمشيتي ام لا ؟ » قلنا : الى هذه الدرجة بلغ عتو الخوري بولس قرألي وهذيانه حتى جعل مكرم باشا عبيد ابن عم البطريرك اللبناني الماروني القديس ارميا العمشيتي (١٢٠٩ - ١٢٣٠) الذي عاش قبله باكثر من سبعة قرون ؟ وهل يليق بالخوري بولس ان يعرّض للمزاح والتفكهة على صفحات الجرائد اسم بطريرك بار من مشاهير بطاركة طائفته ؟ .

واستتلى الخوري بولس يقول متهكماً : « ان السراي الملكية بالقاهرة تشغل القسم الاكبر من حي عابدين ، وهذا الاسم شاهد على ملكية يعاقبة طور عبدين لهذا الحي ! » . تلك مساطر من مئات المساطر التي يناقشنا فيها هذا الخوري في قضية علمية تاريخية جدية. وقد نشر خمسة اعمدة كاملة في جريدة البيرق وشحنها بمثل هذه الاقاصيص والترّهات التي اصبح القراء يمجون مطالعتها ويقذفون كاتبها باللوم والاستحقار والشتيمة . وختم الخوري بولس رده المذكور بهذا القول : « ان تادرس كان اسماً لاحد اقاربه ومات سنة ١٩١٨ ويخشى لو عرف لوسيفورس انه يعقوبي ان يزجه في جهنم النار » .

فجوابنا على هذا التطاول القبيح هو ان الكنيسة الكاثوليكية المقدسة لم تحكم بالهلاك في جهنم الا على يهوذا الاسخريوطي . اما الخوري بولس قرألي فقد اصدر حكمه على اليعاقبة جميعاً وادعى انهم هالكون في جهنم. فنحن نسأله في اي مدرسة اقتبس هذا العلم الغريب؟ ومن هو اللاهوتي الذي لقّنه ان يصدر الحكم القاطع ؟ لا شك التعصب الاعمى اذا استحكم — والعياذ بالله — قذف بصاحبه الى هوّة سحيقة من الجهل والغباوة. والخلاصة اننا ابدينا رأينا عن اصل آل الدويهي واثبتنا انهم من محتد صددي سرياني وهو الرأي الاقرب الى الحقيقة والصواب والمنطق . وقد ايده كل الدويهيين والمنتسبين اليهم ممن عرفناهم . اما الخوري بولس الذي انكر

حتى الان . فالبطريرك اسطفان الدويهي المغبوط حقه ان يصفعنا لو حرّفنا نحن شجرة اسرته المكتوبة بيده . ولكن الخوري بولس هو الذي حرفها فالصفع يجب ان يقع عليه لاعلينا .

ثم ان الخوري بولس قرألي ادعى زوراً ان كنية قرقور الواردة في قلب الشجرة الدويهية هي « علم شخص » . والحال ان البطريرك الدويهي يذكر صريحاً في تلك الشجرة اسم « جريج ابن الحاج ابراهيم قرقور » . فمن عبارته هذه الصريحة نستنتج ان قرقور هو كنية لاسرة وليس علما لشخص كما تفلسف الخوري بولس متحذلقا . وهذه كنية قرقور الواردة في الشجرة الدويهية هي نفسها وردت سنة ١٦٤٤ في سجل اوقاف دير موسى الحبشي كما صرحنا في كتابنا (صفحة ٩١) وما زالت تلك الكنية بعينها تطلق منذ قديم الزمان حتى اليوم على اسرة سريانية في صدد يعرفها اهالي تلك الانحاء باسم (مشايخ آل القرقور) . فالخوري بولس قحم بكل وقاحة على تحريف الشجرة الدويهية توصلا الى مأربه ليس الا . فزعم ان قرقور علم لشخص لا كنية لاسرة معروفة في صدد منذ ستة قرون . فبزعمه الفاضح حاول ان يكذّب البطريرك الدويهي المغبوط . وتكذيبه هذا دل على جهالته وقلة امانته . وما نقوله عن اسرة قرقور يصدق بحذافيره عن اسرة « عبيد » وقد استندنا في قولنا الى مؤرخين موارنة صادقين في جملتهم الخوراسقف يوسف العمشيتي احد كتبة اسرار البطريركية المارونية . فهو الذي صرح قائلا « اشتهرت اسرة البطريرك ارميا العمشيتي برجال افاضل وعلماء اعلام . ذكر بعضهم حجة المؤرخين البطريرك اسطفان الدويهي في شجرة عيلته بخط يده . مما يؤيد ما ذهب اليه الكثيرون بان عيلة « عبيد » هي فرع من عيلة الدويهي الاهدنية » . (المشرق ٢٩ : ١٩٣١ : ٣٦٥) زد على ذلك ان اسرة عبيد الواردة اسمها في الشجرة الدويهية يؤيد كونها صددية المحتد ، اسقف سرياني يعقوبي اسمه باسيليوس موسى عبيد تولى مطرانية حمص ستا وثلاثين سنة (١٤٧٤ – ١٥١٠) وامتاز بتجويده الخط السرياني . فاين هذا التصريح الجلي من افك الخوري بولس قرألي وتلاعبه كما يشاء هواه وغرضه بنصوص المؤرخين الافاضل .

فنحن لم نستنبط شيئاً من مخيلتنا بل اسندنا اقوالنا ودعمناها بشواهد صريحة متينة . ودعمنا ما كتبناه عن آل الجميل بمراجع اقتبسناها عن تاريخ آل الجميّل نفسه تأليف الاستاذ عبدالله حشيمة ، وعن الحكيم الرصين الدكتور امين الجميل والد صديقنا بيير الجميّل الرئيس الاعلى للكتائب اللبنانية . وفي اعتقادنا ان ما كتبناه قد كتبناه عن صدق واخلاص واقتناع . ومن ثم نصرّح ان ما يكتبه الخوري بولس ليس الا تمويهاً وتزويراً وتشويشاً للاذهان واخفاء للحقائق التاريخية .

الفصل الثالث والثلاثون

ازدراء قرألي بآل الدويهي وآل عبيد وفروعهم

اثبتنا في كتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » ان اصل آل الدويهي من صدد واوردنا البراهين المؤيدة ذلك ولا نزال راسخين في رأينا لا نعدل عنه البتة . لانه رأي صحيح ثابت منزّه عن كل ريب وغرض . امـا الخوري بولس قرألي فعلى ما تعوده من التهكم والهزل وجه خطابه الى صليبا الدويهي يقول : « يا حزني عليك فانت ايضاً من دم يعقوبي وقد لطخ الفنان طرازي وجـه اسرتك بالوانه الشنيعة !.. نخشى ان يسمع بهذا التجديف البطريرك القديس اسطفان الدويهي... فينهض من قبره... ويصفع هذا الرجل (طرازي) صفعة ترن لها جوانب هذه المغارة وتزعج البطاركة سلفاءه وخلفاءه ... » فنحن جوابا على افراط هذا الكاهن في السفاهة نقول : اننا مستعدون بقبول صفعات البطريرك الدويهي . ولسنا نحيد عن تصريحنا وعن اعتقادنا بان اسماء عبيد وحباص وتادرس ووهبـه وشحاده وقرقور الموجودة في الشجرة الدويهية تؤكد ان اصلها من صدد ومن السريان اليعاقبة . وها ان تلك الاسماء بعينها لم تزل متعاقبة متوارثة في تلك البلدة من اقدم الازمنة

الفصل الثاني والثلاثون

آل الجميل

قال مناظرنا الخوري بولس قرآلي بتاريخ ١٥ تشرين الاول عدد ٤٧٥١ من البيرق : « امـــا تحدير مشايخ آل الجميّل فهو آية من آيات الزمان تذهل العقول لولا علمنا بذهول عقل (الفيكنت) كلما ركبه عفريت التحدير اليعقوبي... اي ان المولود اذا كان يعقوبياً يمكنه الخروج من بطنين مختلفين في آن واحد.. هذه هي العجيبة التوليدية التي لم يقدم عليها حتى الان خالق الكائنات عز وجـــل قام بها حضرة النطاسي البارع الدكتور فيليب دي طرازي .. »

قلنا هل يجوز للكاهن ان يستغرق في مثل هذه الكتابات التي لا يقدم عـلى التلفظ بها فضلا عن كتابتها على صفحات الجرائد ، الا من كان فاقد اللب خالياً من كل فضيلة وادب عارياً من كل تقوى وطهـــارة وحشمة ؟ ؟ . ثم نقلنا نحن عن الصفحة ٦ و٩ من « اللمعة التاريخية » تأليف الاستاذ عبدالله حشيمة الماروني هـذا النص وهو : « الخوري الهمام ميخائيل داغر كان يروي ان المسمى الشدياق وجدهم داغر من اولاد الجميل .. وان داغراً من بيت الجميل .. »

اما الخوري بولس قرآلي فقد تلاعب كعادته في هذا النص وكتبه هكذا : « في الصفحة ٦ قرأنا : ان الخوري ميخائيل داغر كان يروي ان الشدياق داغـر جدهم كان من اولاد الجميل » فوضع حضرته لفظة « داغر » بعد لفظة « الشدياق » للبلوغ الى اتمام حيلته . والحال ان الشدياق رجل وداغراً رجل آخر كما يتضح من النص الاصلي . فلينظر اذاً القـــارىء النجيب وليحكم من هو الصادق ومن هو الكاذب انحن ام الخوري قرآلي .

بعد هذا كله نوجه الكلام الى الخوري بولس قراألي ونقول له : هل تظن يا هذا ان الموارنة واليعاقبة في بقوفا وحردين وحدشيت وكفر حورا ولحفد وزبطرى وغيرها كانوا يفهمون في زمانهم نصوص المجامع المسكونية ومعانيها ؟ وهل يسعك ان تنكر انهم كانوا فلاحين قرويين لا يكتبون ولا يقرأون ؟ اتجهل ام تتجاهل ان اسرا عديدة من الطائفتين كانت مرتبطة بوثاق الزواج المسيحي الشرعي ؟فاذا جهلت كل هذا فانك بلا ريب اجهل الجاهلين .

الفصل الحادي والثلاثون

آل داغر

ألمع الخوري بولس قراألي بكلمة وجيزة سطحية الى اسرة داغر . ولم يجرأ ان يكتب تفصيلاً صريحاً عن اصلها وعقيدتها في سالف الزمان . ولعله تعمّد ذلك ليخفي اصلها المنوفيزيتي الذي ما زالت تلهج به السنة آل داغر وانسبائهم ورؤساء الدين انفسهم . وقد تجاهل حضرته اسم المطران فيلكسينوس جرجس ابن الشماس جرجس داغر الحرديني الذي تولى رعاية ابرشية حردين السريانية ثماني سنوات (١٥٩٠ — ١٥٩٧) كما فصلنا في كتابنا (اصدق ما كان عن تاريخ لبنان)واثبتنا المراجع المؤيدة ذلك ثم سردنا اسماء الاسر المنتسبة الى آل داغر وفروعها نقلاً عن كتاب « لبنان لمحات في تاريخه واثاره واسره » بقلم الخوراسقف يوسف داغر .

اما الخوري بولس قراألي فقد حمل حملة منكرة على مؤلف كتاب « اللمحات » الذي نقلنا عنه اخبار آل داغر فكتب بتاريخ ١١ و١٢ تشرين الاول عدد ٤٨٤٨ من « البيرق » يقول : « اننا لا نعرف البيّنة التي استند اليها حضرة الخوراسقف داغر ليثبت ان آل داغر من بقوفا ومن صلب مشايخ الضاهر . فهل اصيب صديقنا بالداء العضال الذي اعترى جميع مؤرخي الاسر المارونية الحديثين بتحدير اجدادهم من رجال عظام امراء ومقدمين ومشايخ وبطاركة ؟ » قلنا : قاتل الله التغطرس والمكابرة والجهالة !!!

« ادّعى الفيكنت ان اهالي بقوفا كانوا يتزوجون من يعاقبتها الهراطقة مع علمه بان المجامع المسكونية والمارونية تحرم هذا التزوج .. فهل خوّل حضرته السلطة البابوية ليفسح من هذا المانع الخطير ؟ الم يكتف بالفيكنتية حتى طمع بالتاج البابوي المثلث الطبقات ؟ واذا كان حبراً اعظم فلماذا يرتدي البنطلون ؟ »

زه زه !! ألى مثل هذه الوقاحة الفظيعة تتصل جهالة الخوري بولس قرألي حتى يجسر ان يسخر بالسلطة البابوية المقدسة ؟ ألى هذا الحد يفضي به النزق حتى يفغر فمه ويتشدق قائلا : اننا طمعنا بالتاج البابوي المثلث الطبقات ؟ تبّا لها من وقاحة وجسارة لا وقاحة ولا جسارة بعدها ! فنحن ادرى من كل احد بكوننا أحقر عباد الله . ولم نحلم يوما من الايام باكثر مما انعم الله الكريم على حقارتنا .

اما التزوج بين الموارنة واليعاقبة فهي عادة قديمة مألوفة في لبنان حتى عهدنا الحاضر . واليك على سبيل المثال اسماء بعض المتزوجين من الطائفتين في عاصمة لبنان نفسها : الامير وديع شهاب الماروني وابنة الخوري ميخائيل برجاع اليعقوبي. ثم السيد شفيق قرنية اليعقوبي وماري ابنة الامير فؤاد شهاب المارونية . والسيد الياس جبور الماروني وماري ابنة الاستاذ حقويردي اليعقوبي صاحب جريدة « لسان الامة » المحتجبة .

والسيد جرجس اسحق خلف اليعقوبي واليصابات ابنة ياسين جرمانوس المارونية . والياس بك نجار السرياني اليعقوبي نائب الجزيرة العليا في مجلس النواب السوري اقترن بالانسة جميلة صوما المارونية من زغرتا . والسيد يعقوب نجار شقيق الياس بك نجار السرياني اليعقوبي بالانسة مي ابنة الياس بويري المارونية من جونية ووالدتها هي حفيدة حنا بك الضاهر سليل الشيخ جمعة العنحلي وتمّت حفلة الاكليل في كنيسة مار بطرس ومار بولس برئاسة السيد ايونيس يوحنا كندور مطران اليعاقبة في بيروت .

القرية القاطنون في الحارة السفلى مالوا . . الى اليعقوبية . . . فوثب اهالي اهدن وهزموهم ودكوا منازلهم مع دير الغوبة كرسي مفريانهم الى الارض » . هذا هو نص الدويهي ومنه يتضح جلياً ان اهـالي بقوفا لم يكونوا باجمعهم موارنة كما زعم الخوري بولس قرألي. ونضيف الى ذلك قائلين : لو كان اهالي بقوفا موارنة باجمعهم فلماذا وثب اهالي اهدن على قرية بقوفا وهزموا اهاليها ودكوا منازل الحارة العليا التي كان جميع اهاليها موارنة مثلما دكوا منازل الحارة السفلى التي مـال اهلها الى اليعقوبية ؟ اننا نريد من الخوري بولس ان يجـاوبنا جواباً مقنعاً صادقاً خالياً من التحريف والتزوير .

زد عليه ان الكردينال كرافا اخذ يسعى عـام ١٥٨٠ لدى الحبر الاعظم البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ – ١٥٨٥) ليرسل درع التثبيت الى البطريرك ميخائيل الرزي اذ لم يكن يناله مع كونه بطريركا منذ ثلاث عشر سنة . واوصى الكردينال المشار اليه الاب يوحنا اليانو والاب توما راجيو ان يتفقـدا شؤون الطائفة المارونية في ايمانها وطقوسها واثارها الكنائسية وعاداتها في جميع انحـــاء لبنان ويدوّنا كل ملحوظاتهما بالتدقيق . وان يقلد الدرع المقدس غبطة البطريرك ميخائيل بعد استثباتهما في صحة ايمانه وطاعتـــه للكرسي الرسولي (المشرق ١٨ : ١٩٢٠ والاثار الخطية للاب انطون رباط ١٤٨ – ١٥١) .

اما سبب تأجيل ارسال درع التثبيت الى البطريرك ميخائيل الرزي فهو : ان اهالي قبرس الموارنة عندما بلغهم امر ارتقائه الى البطريركية بعثوا بكتابات الى رومية ذكروا فيها « ان البطريرك الجديد اصله يعقوبي » (الجامع المفصـل للمطران الدبس عدد ٤٨ صفحة ٢٩٠ ورد التهم ١٦ : ٤٣٩) .

الزواج بين الموارنة واليعاقبة عادة مألوفة قديماً وحديثاً

لم يكتف الخوري بولس قرألي بتحريفه نص الدويهي عن اهالي بقوفا بـل كتب بتاريخ ١٣ تشرين الاول ١٩٤٨ في البيرق عدد ٤٨٤٩ يقول :

ولا نستطيع بعد هذا ان نسكت عن سخافه اقوال الخوري بولس قرألي ولا سيما قوله في ٥٩٤٥ تشرين الاول عدد ٤٨٤١ من جريدة البيرق بالحرف الواحد : « ونحن نعد حضرة الفيكنت ان نعيـــد اليه جميع ما اغتصبه آل ضو وفروعهم العديدة من ارزاق وكنائس واديار ووقوفات وبهائم اجداده اليعاقبة . » فقد ضم مناظرنا الكاهن الوقور الى الارزاق والكنائس والاديار والوقوفات لفظة « بهائم » اذ اراد بها ضمنا ان يجعل أجدادنا اليعاقبة بهائم . فيا كاهن الله العلي الا تعلم ان اليعاقبة الذين اطلقت عليهم بجسارة وبدون ادراك نعت بهائم ليسوا هم اجدادنا فقط بل اجداد عشرات الآلاف من الموارنة اخواننا الاعزاء ؟ فان وقاحتك هـــذه شملت معنا الذين نصبت انت نفسك للدفاع عنهم وعن أسرهم . ودلت على عدم تعقلك وعلى قلة تمييزك . يا للخجل والوقاحة ..

الفصل الثلاثون

آل الرزي

تمادى الخوري بولس قرألي في غلوائه فقال : « ان الفيكنت في تحـدير آل الرزي وفروعهم من آل ضاهر وداغر يستند الى تقليد يرويه معاصره الخوراسقف يوسف داغر . وهو يعلم ان التقليد لا يصح التعويل عليه . . . اذا كنا نملك وثيقة اصلية تنقضه كمرجع الدويهي . . . فالدويهي امام المؤرخين يشهد بان اهالي بقوفا كانوا جميعهم موارنة »

قلنا هلم نراجع تاريخ البطريرك الدويهي ونتبـصّر ملياً في ما حرره لنرى هـل ذكر حقيقة ان اهالي بقوفا (جميعهم) موارنة دون استثناء كما ادعى الخوري بولس ام لا ؟ وها نحن ننقل للقارىء ما دوّنه ذلك البطريرك المغبوط بالحرف الواحد في الصفحة ٤٤٠ و٤٤١ من كتابه « رد التهم » قال : « اما سبب التهمة التي قذف بها البطريرك ميخائيل (الرزي) فهو ان اصل بيت الرز من قرية بقوفة . واهل هذه

كانت انسالهم اخصب من انسال الارانب والاسماك والجراد والذباب.. كما وصفها بكل وقاحة هذا الكاهن المتطرف كل التطرف في اقواله وتشابيهه المستكرهة .

واردف الخوري بولس قراألي تشابيهه هذه بقوله « وسعادة (الفيكنت) ابي النفس كريمها قد عاهدنا في رده الاخير على ابقاء هذه الخيرات المغتصبة في ايدينا سواء اكانت كنائس ام اديار ام اوقاف ام عقارات ام حقول ام مواشي حتى الكلاب الحارسة والقطط الصائدة » . فجوابنا على هذا الخلط والخبط هو توجيه التهاني الى الخوري بولس قراألي على ما اغتصبه من السريان من الخيرات ولاسيما على امتلاكه كلابهم الحارسة واحتلاله قططهم الصائدة !!

الفصل التاسع والعشرون

آل ضو

لم يقتصر الخوري بولس قراألي على انكار المشايخ الخوازنة واصل ذرية آل شاهين المشروقي وآل الحلو المتحدرين من الشيخ جمعة العنحلي ، بل قذفه الجهل ليمحو من سفر الوجود موسى غانم الغساني جد آل غانم ومطر وسعاده وضوء ، فادعى انه شخص وهمي وادعى ان ذريته المنتشرة في لبنان وسواه كأنها لا تعرف من هو جدها الاعلى . وقـــد غضب آل ضو غضبتهم على ما تحداه الخوري بولس قراألي ولفقه عنهم وعن جد اسرتهم مما لا يتحمله من كان يملك ذرّة من الشهامة والكرامة . فارسلوا الوفود الى رئيس جامعتهم نصري بك لحود يحتجون على تهمة الخوري بولس قراألي وعلى افترائه على اسرتهم وانكاره تقاليدها الموروثة. فما كان من نصري بك الا ان نهض نهضة الليث يدافع عن شرف اسرته الكريمة ويعنّف هذا الكاهن على ما خطته يده وقذفه لسانه دون تروّ وتعقل .

« جاهد حضرة الفيكنت جهاد المستميت ليثبت على آل الحلو الموارنة التحدر من ارومة يعقوبية فقد عد لاسرتهم زهاء خمسين فرعاً يتجاوزون مائة الف نفس... وأخذ يزوع ويضل الطريق ويخبط في براهينه خبط عشواء ويكبو حتى حرنا كيف نقوده الى سواء السبيل .. »

هذه هي اللهجة الحلوة اللطيفة التي يروم ان يحادثنا بها الخوري بولس قرألي المتطفل على موائد التاريخ . ونحن نجاوبه على لهجته هذه بقولنا : ان مسئلة تحدر آل الحلو من الشيخ جمعه العنحلي هي قضية تاريخية راهنة يعرفها آل الحلو وآل كيروز اكثر بكثير من الخوري بولس الذي يحاول ان يمسخ تاريخهم الصحيح المتسلسل منذ خمسمائة وثمانين عاماً .

ويتجاسر ان يهشم سمعة مؤرخهم الدكتور رشيد شكرالله الحلو الماروني الطيب الاثر . وقد قضى هذا الطبيب النطاسي شطراً من حياته في جمع اخبار اسرته ودوّنها بدقة وامانة فجاء صنيعه واجتهاده جديراً بكل ثناء واعتبار .

ولما كان الخوري بولس قد انكر متبجحاً ان البطريرك يوحنا الحلو (١٨٠٩ — ١٨٢٣) المثلث الرحمات لا يمتّ بصلة قرابة الى بني الحلو فاننا تفنيداً لزعمه نحيله ليطالع ما ورد في « تاريخ عائلة الحلو » صفحة ١٦ وهذا نصه : « كان البطريرك يوحنا الحلو يأتي الى بعبدا لزيارة اخويه وباقي اقاربه غالب الاوقات، ولم تزل الغرفة التي كان يقيم فيها الذبيحة الالهية عامرة الى الان » فهل من بيّنة اجلى من هذه تبرهن على ان البطريرك المومى اليه هو من نفس آل الحلو المتحدرين من الشيخ جمعه العنحلي ؟ وهل من افتراء افظع من هذا الافتراء على التاريخ الصحيح ؟

ثم تهجم الخوري بولس قرألي عينه فقال عن جدود آل الحلو : « ان الواحد منهم اذا وطيء ارض لبنان وشم هواءه النشيط منحه الله نعمة خصب لم يمنحها للارانب والاسماك والجراد والذباب ... » فنحن ندع الجواب على هذه المقابلات البذيئة السافلة لآل الحلو الكرام فهم احق منا بالجواب عليها . وهم يعرفون اذا

لا في لبنان فقط بل في مختلف الاقطار الشرقية وبعض الاقطار الغربية . وقد فندّنا نحن دعوى الخوري بولس بايرادنا شهادة البطريرك بولس مسعد الخالد الاثر الذي دوّن بيده سلسلة نسبه المتصلة بشاهين المشروقي الصددي السرياني . وايّد هذه الشهادة البطريرك الياس الحويك المغبوط والمطارنة يوسف نجم ويوسف دريان وبولس مسعد الخ ووافقهم على ذلك سائر فروع الشيخ شاهين المشروقي ولاسيما مشاهير جهابذتهم من آل السمعاني وعواد ومسعد والشدياق وفرحات ومطر والحاج وبركات . . .

فما بالك ايها الخوري تحاول انكار هذه البيّنات الصادعة وتتجاسر ان تكذب شهادات احبار اجلاء ومؤرخين فضلاء وعلماء يستحقون كل الاعتبار ؟ بل ما بالك ترتكب مثل هذه الجناية الكبرى التي تمسخ تاريخ فريق من اشرف الاسر المارونية وابرزها وجاهة ومكانة وعلماً ؟ اعلم يا حضرة الخوري بولس انك بحكمك هذا الحاسم بانقراض نسل شاهين المشروقي لم تسىء الى الاسر اللبنانية العريقة فحسب بل اسأت الى اعلى سلطة روحية في طائفتك الجليلة وكذبت بطاركتك واساقفتك الذين ايّدوا انسال شاهين المشروقي الصددي السرياني ، ولو افترضنا ان ما اثبتوه مخالف للحقيقة (وهو افتراض وهمي) فكان عليك من باب اللياقة الكهنوتية ان لا تتعرض لنفي ما دوّنه رؤساؤك صوناً لكرامتهم واجلالا لمرتبتهم الدينية .

الفصل الثامن والعشرون

آل الحلو

حشا الخوري بولس قرألي خمسة اعمدة من « البيرق » بتاريخ ٤ و٥ تشرين الاول عدد ٤٨٤١ ليبيّن ان آل الحلو ليسوا من عين حليا وليسوا متحدرين من الشيخ جمعه العنحلي فقال :

والتاريخ ؟ فنحن من صميم الفؤاد نهنىء الشيخ صالح الحساني بهـذا النسب النبيل واللقب الجليل . ونهنىء ايضاً حضرة الخوري بولس قرألي في الوقت ذاته لاتباعه وتأييده رأي زميله المؤرخ الشيخ صالح الحساني . وبعد فهـل يرضى مشايخ آل الخازن ان يسخر بهم بعض المتطفلين على موائد الكتابة ممن يهرفون بمـــا لا يعرفون ولا يميزون بين الغث والسمين ؟ هل يرضى آل الخازن ان يتلاعب اولئك المتطفلون بانساب الاسرة الخازنية ويلطخوا كرامتها باخبار ينبذها العقلاء وارباب التاريخ الصحيح ؟

وقد بيّنا ان اصل آل الخازن المنتسبين الى غسان لا يمكن ان يكون عنصرهم الاصلي مارونياً بل سريانياً لان اجدادهم الاقدمين عاشوا اولا في غسان ثم انتقلوا الى حوران فدمشق فالمنيطرة حتى استقروا في جاج ثم انتقلوا الى كسروان وانضموا الى الطائفة المارونية . فتاريخ الشيخ شيبان هو اصح تاريخ يمكن التعويل عليه . وقد ايده المشايخ الخوازنة باسرهم كالشيخ نوفل بن قانصو القاضي الشهير والشيخ فيليب بن قعدان والشيخ حرب ولاسيما العلامة القانوني المدقق الخوري لويس الخازن والمحامي النابغة الشيخ نسيب وهيبه الخازن ولكليهما تاريخ مفصل عن هذه الاسرة النبيلة . فهذه البيّنات باجمعها تنقض دعوى الخوري بولس قرألي وتدحضها دحضاً باتاً لا شبهة فيه .

الفصل السابع والعشرون

آل المشروقي

ادعى الخوري بولس قرألي ان نسل شاهين المشروقي « قد انقطع بمقتل احفاده الثلاثة اولاد الشدياق يوسف خاطر » (البيرق ٢ و٢١ ايلول صفحة ٧) ولا نرى حاجة الى دحض هذا الادعاء من اساسه لان ذرية شاهين المشروقي ما زالت منتشرة

اوضح واصرح منها . بناء عليه فشهادة الشيخ صالح الخازن ساقطـة من اساسها لاننا ما عرفناه مؤرخاً ولا وقفنا له حتى الآن على ادنى اثر علمي .

زد عليه ان القس اغوسطين سالم دوّن سلسلة آل الخازن وذكر فيها جدين من اجدادهم باسم غسان وجداً باسم جفنة مؤسس الامارة الغسانية . فهذه السلسلة كذلك تؤيد ان ارومة الخوازنة تتصل بالغساسنة دون ريب . ويطيب لنا ان ندحض ادعاآت الشيخ صالح الوهمية التي استند اليها الخوري بولس قرالي فنقول :

اننا راجعنا طائفة كبيرة من الموسوعات والمعاجم والتواريخ لنتحقق اذا كان يوجد شعب او امارة او دولة يطلق عليها اسم حـسّان . فلم نعثر بشيء من ذلك على الاطلاق . وكل ما امكنا الوقوف عليه هو ان لفظة حـسّان تطلق على اعلام بعض الرجال بينهم الشاعر والقائد والوزير وهم قاطبة يدينون بالاسلام .

انما وقفنا على اسم « قبيلة من العرب المعقل في بلاد الغرب ينسبون الى حسان بن مختار بن محمد معقل ويعرفون بذوي حـسّان وبني المختار منهم السوس ومنهم الشبانات والرقيطات ومنهم الجباهنة . وكانت مواطنهم بنواحي ملوية الى مصبه في البحر » .

(راجع لفظة حسان في دائرة المعارف للبستاني)

ذلك ما تيسر لنا معرفته من لفظة حـسّان التي تمسك بها الخوري بولس قرالي مع صديقه الشيخ صالح الخازن .

فبعد هذه الايضاحات الراهنة هل يعقل ان ينتسب آل الخازن الى قبيلة عربية مغربية ؟ وهل يوافق الخوازنة على ابدال غـسّان تلك الدولة العريقة ذات التاريخ المجيد والغنية بمآثرها ومفاخرها . بقبيلة حـسّان التي استنبطها الشيخ صالح من دماغه وانفرد وحده دون سائر افراد عائلته بهذه الفكرة العوجاء التي لا يقرّها المنطق

كتبوه . اما مناظرنا الخوري بولس قراألي فقد قام يشجب اولئك المؤرخين وتجرأ ان يلصق بهم الكذب والتمويه تشويهاً لسمعتهم وتنقصاً لما نقلوه عن آثار اجدادهم واثبتوه في تصانيفهم . وما غايته من هذا التطاول والتحامل الا ان يحتكر لنفسه كونه المؤرخ الفذ والوحيد لطائفته ، وان ما يكتبه هو هو الصحيح وما يكتبه غيره ليس الا تمويها وخداعا . ولكنه هيهات ان يحتكر لنفسه هذا الادعاء وقد أمست كتاباته مهزلة المهازل خالية من كل صبغة أدبية وعلمية وتاريخية ومنطوية على الغلو والخلط والتهكم والازدراء لا غير .

وبرهانا على نزاهة نفسنا من الاغراض وتجرد قلبنا من الحزازات ودفاعاً عن شرف تلك الاسر المارونية الجليلة وتبياناً لحقيقتها وتفنيداً لمزاعم حضرة الخوري بولس قراألي الذي تمادى في تشويه حقائقها وتهشيم كرامة مؤرخيها نوجز في ما يلي حقيقة اخبارها دون زيادة ولا نقصان :

الفصل السادس والعشرون

آل الخازن

حاول الخوري بولس قراألي ان يبيّن ان اصل آل الخازن من حسّان لا من غسّان. واستند في محاولته الى شهادة الشيخ صالح الخازن . اما نحن فعلى اعتبارنا الشيخ المذكور نقول ان الشهادة المنقولة عن اللسان لا يعبأ بها ما دام في يدنا وثيقة تنقضها وهي شهادة مؤرخ فاضل قضى ردحا من حياته في وضع تاريخ لاسرته النبيلة سمّاه : « تاريخ المشايخ الخوازنة » . وهذا المؤرخ هو الشيخ شيبان الخازن ، فقد صدّر تاريخه بهذه العبارة وهي : « هؤلاء (اعني الخوازنة) قيل انهم من بني غسان وهم طائفة من عرب النصارى» فشهادة جلية كهذه لا تدحضها ولا تنقضها الا شهادة

الفصل الرابع والعشرون

خروج قرألي عن خطة اللباقة والتهذيب في مناقشة علمية بحتة

اذا استعرضنا الاسر المارونية التي ادعى الخوري بولس قرألي الدفاع عنها ونفى كونها من اصل سرياني رأيناه يتمادى في شططه وينحرف عن جادة الصواب حتى امسى كلامه منبوذاً لا قيمة ولا اعتبار له لدى الخاصة والعامة ، ذلك لما حواه من الاساليب الهزلية فضلاً عن الخلط والازدراء والسخرية بكرامات الناس على اختلاف طبقاتهم . وهذه الطريقة الذريئة قد مجّها العقلاء والعلماء واستنكرها كل ذي نفس شريفة أبية . ومن المعلوم ان موقف احدنا ازاء الآخر في قضية علمية تاريخية يجب ان يكون موقف احترام ووقار لا موقف تنازع واستحقار . ويجب ان يكون الكلام في ذلك منزهاً عن القوارص اللاذعة والبذاءة والاستخفاف . لاسيما اذا كان خصمنا متصفاً بالرتبة الكهنوتية وهو اعلم منا بما تفرضه عليه تلك الرتبة الشريفة من الواجبات المقدسة التي لا بد له من النهوض بها صوناً لمقامه .

الفصل الخامس والعشرون

تطاول قرألي على كرامة مؤرخي الاسر اللبنانية

اما نحن فنعتقد اعتقاداً تاماً بانه لا لوم علينا في كل ما نقلناه عن الاسر المارونية لأننا نقلناه نقلاً دقيقاً اميناً عن مؤرخين موارنة كانوا قبلتنا ورائدنا ونبراسنا في ما دوّناه عن اصول اجدادهم ولم نحد قيد شعرة عن خططهم ومناهجهم . فاذا اخطأنا نحن كانت التبعة ملقاة عليهم لا علينا . غير انهم في اعتقادنا وفي عرف ذوي الخبرة واهل المعرفة مؤرخون صادقون يجدر الاستناد اليهم والاعتماد عليهم في ما

بل من يستطيع ان يكرّس لعهد يوسطنيانس وما هو الا ملك من ملوك بيزنطية اعواماً طويلة يقرأ فيها برو كوبوس الذي عاش في بلاط يوسطنيانس ورفع سيده وسيدته تئودورا الى الاوج، ثم اصدر كتاب Anecdotes وهبط فيه بسيديه الى الحضيض ... وبعد ذلك من يستطيع ان يقارن بين اقوال هذا المؤرخ باقوال اثنين من معاصريه هما سكرتير القائد بليزاريوس الذي كان من البلغاء وتقلد وظيفة محافظ القسطنطينية وارتفع الى منصب الشيوخ ثم اخيراً اجاتوس راوي الحروب اليوسطنيانية ومعاصرها ...

وبعد كل هذا المجهود الذي لا يتسنى الا للقليلين، ماذا يفيد القاريء التائه في المكتبات العديدة ومئات الكتب ان يعرف سيرة تئودورا الخاصة ... اليس من الانفع والاجدر بالعلم ان يرى كما رأيت ايها الشيخ الوقور تلك البعثات الدينية وتلك الكنائس والاديرة معاهد الفضيلة والعلم التي انشأتها الامبراطورة. وهل يعني المطالع الا هذا العمل الانشائي. وماذا اذا ناصرت تئودورا فئة مسيحية آمنت بتعاليمها على فئة ايّدها زوجها وشريكها في الحكم ... وماذا اذا بدأت تئودورا رافصة في بيت اب من مروضي الدببة او نشأت في بيت قسيس من منبج ؟ ثم هناك شيء آخر ...

لقد احسست دائماً وانا اطالع مطولات التاريخ البيزنطي بانقباض عظيم لرؤية روساء الدين في مجادلات «بيزنطية» امتدت الى نيف والف ومائة عام من عهد انتصار النصرانية في عهد قسطنطين (٣١١) الى سقوط القسطنطينية. لقد اختلفوا في تعريف وتحديد شخصية المسيح السامية بينما هم لم يسترشدوا بتعاليمه تعاليم المحبة والسماحة والعفو والرحمة... لقد اضطهدوا وتناحروا بطاركة واباطرة وشعوبا ونالوا من انفسهم ما لم ينله الوثنيون منهم... وما زلنا الى اليوم نشهد هذا الخصام وكما قلت في بدء هذه الكلمة لقد سيرتم المواكب البهيجة في اطار فخيم نحو افاق انسانية لا اثر فيها للتعصب والتحيز، فالزمتم حدود الموسوعات في بسط الموضوعات بسطاً موضوعياً نزيها ...

مصر الجديدة في ١٧ تموز سنة ١٩٤٩

نسيب وهيبه الخازن

الخلاعية والى الملاهي وسباق الخيل وحديقة الحيوانات ، وزخريا يحثه على الايمان والتقوى ويشترط سويرا الا يلح عليه صديقه بالترهب ... وفي بيروت طلاب من سميساط والرها والاسكندرية وفلسطين ... وبيروت تعج بالحياة وتلمع في سماء العلم الى ان تأتي الكارثة في دوي وتهدم وينطفي سراج العلم .

كيف لا يشتاق قاريء كتابكم ولو الى اقتناء مذكرات احد هؤلاء الطلاب عن ايام تلمذته في بيروت التي تختلف كثيراً عن حياة اكليريكيين جاؤا بيروت لطلب العلم بعد اربعة عشر قرناً ليدرسوا في كلية القديس يوسف ... وهذه ناحية رومانتية في كتابكم الانسيكلوبيدية .

« ومن درس اخبار من قبله اضاف اعماراً الى عمره » وهل شخصية كل منا الا سلسلة من ذكرياته وماضيه ؟ وهل لنا غير الماضي ؟ وهـــل نتذوق الحاضر ونفهمه ونقدره حق قدره ؟ بل هل الحاضر الا هنيهة تطير وتبتعد وتصبح ماضياً في اقل من لمحة البصر ؟ وهل المستقبل معلوم لاحد ؟ وانت ايها الشيخ الوقور قد اضفت الى عمرك والى سلسلة اختباراتك وذكرياتك المستمدة من خير الاوساط وارقاها اعماراً وذكريات تسلسلت من الف وخمسمائة عام . فاصبحت في اعيننا كتاباً حياً ومرآة صافية للدهور واصبح بك المتعلمون في روض بهيج من المعرفة يقود الى هيكل شامخ من الثقافة .

لا تتسنى المعرفة الا للقليل النادر من الناس . فمن يستطيع ان يطالع اخبار الدولة البيزنطية التي تركت للعالم الى يومنا هذا اثاراً عميقة في المعتقدات والشرائع والاجتماع والسياسة ؟

ومن يستطيع ان يطالع كتب مؤرخي هـــذه الدولة البيزنطية التي ورثت حضارة روما بعد ثمانية قرون من قيام الدولة الرومانية العالمية ثم مثلت حضارة العالم ونيف الف ومائة عام « ٣٣٠ – ١٤٥٣ » لم يكن للعالم منارة سوى منارة القسطنطينية وحواضر الدولة البيزنطية : انطاكية والاسكندرية والرها وغيرها ..

ان كتب التاريخ الحي التي وضعها الروّاد وشهود الرؤية في كل عصر قد تركت لنا لوحات حيّة ناطقة من حياة كل جيل ولكنها قليلة. نادرة بالنسبة للعصور والمواطن الجغرافية التي تناولها كتابكم . واني لأتخيل شوق القاريء وهو يجتني ثمرة ابحاثكم الشهيّة الى الاستزادة من مطالعة مشاهدات متسلسلة من القرن الرابع الى الثاني عشر في مؤلفات المعاصرين لكل جيل : اوسابيوس القصيري وزكريا البليغ تلميذ جامعة بيروت ويعقوب السروجي راوي حوادث نجران ويوحنا اسقف آسيا وميخائيل الكبير ... فهل لنا ان نأمل في نشر مثل هذه المؤلفات كما نشر تاريخ ابن العبري وغيره ? ومن يستخرج لنا بمثل همتكم من مكتبات لندن واكسفورد وكمبردج والفاتيكان مثل هذه الكنوز ? ونحن نعلم ان في مكتبة كمبردج مثلاً مخطوطات عن ابي العلاء لم تنشر بعد . ولدي رسائل تحثني على هجر الشرق الهاجع لمعاونة مستشرقي الانجليز في ابرازها وانا في منصب وقيد ... وكم الحث والح على راهب ماروني يحضّر رسالة ايطالية عن يعقوب السروجي معاصر يعقوب البرادعي وهي رسالة تتناول فيما تتناوله ميامر تقع في اكثر من عشرة الاف بيت من الشعر وتفاصيل دقيقة في رسائل مطوّلة عن حالة مسيحيي نجران وغسان والشرق في القرن السادس . والراهب مكلف برعية في عمل غير عمله ، وجدير برؤسائه ان يتيحوا له الفراغ والطمأنينة ...

لا يطلب من مثلكم مجهود اعظم ومحصول اعمّ . فقد جاهدتم بما لا طاقة لانسان ان يجاهد . وها نحن نجد في كتابكم الاخير صوراً من تلك اللوحات البرّاقة النابضة بالحياة ، اذ نشاهد نبذاً من احوال شبان يتلقون العلم في بيروت كما يقصد شبابنا اليوم روما وباريس وبيروت .

هذا زخريا البليغ يقصد كنيسة قرب مرفأ بيروت عشيّة كل يوم ليصلي : ويلمح صديقه سويرا مقبلاً اليه في يوم فيبتهج ... ويبشّره ... ويسر سويرا ولكنه يقول في النهاية : اعجبني جداً ما حدثتني غير انه ينبغي لي في الوقت الحاضر ان اواصل دراسة الشرائع والحقوق .. واذا بسويرا بعد ذلك يختلف الى المسارح

وهذه الرسالة هي بمثابة وثيقة ناطقة من مؤرخ ماروني رصين ، بل عظة مملوءة صدقاً وحكمة وبلاغة ، وذات مغاز سامية ملموسة نزفها الى حضرة الخوري بولس قرألي وزملائه الذين تحاملوا علينا وانكروا ما دوّناه في كتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » لعلهم يستيقظون ويتعظون بعبر التاريخ .

فيليب دي طرازي

قال الشيخ نسيب وهيبه الخازن نفعنا الله بعلمه :

سعادة الشيخ الجليل الفيكنت فيليب دي طرازي – بيروت

وصلني بالبريد مؤلفكم الجديد « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان ، وصفحة من اخبار السريان » وهو سفر نفيس من جزئين ينطويان على حوالي الـ ٩٠٠ صفحة . ان مجهودكم متواصل الحلقات غزير الانتاج زاخر منذ ستين عاماً ، وقد كان به لشبابكم زينة ولكهولتكم وقار ولشيخوختكم المجيدة اكليل من الغار . وقد تتوّجت المكتبات العربية في العام الماضي باثمن خلاصات الكتب المطبوعة والمخطوطات اذ اصدرتم ذاك المرجع الموسوعي النفيس « خزائن الكتب العربية في الخافقين » وها هو الكتاب الجديد يرسل اشعة النور والمعرفة الى اعماق مجهولة من صميم التاريخ الشرقي ويشعّ على البصيرة القومية بروح سامية انسانية جامعة بين الاوطان متعدية الحدود الوهمية والحواجز الوقتية التي رسمها او اقامها بنو البشر على جهل منهم . والجهل اساس الضغينة والتفرقة و« الارواح اجناد مجندة ما تعارف منها ائتلف » .

لقد سيّرتم في مواكب باهرة اباطرة وقياصرة ورؤساء وعلماء تؤيدهم جيوش وادعة من حارثي الارض وناقري الصخر ومشيدي دور العلم والتقوى وواضعي اسس المقوّمات الروحية والذهنية والقيم المعنوية .

مسند الى اساس راهن . وبرهاناً على قولنا التجاؤه مراراً عديدة الى نسيبه الشيخ منير وهيبه الخازن رئيس مصلحة الدرس والتنسيق بدار الكتب اللبنانية للتحري على ما في المكتبة من مراجع تسهل لهما الوصول الى معرفة حقيقة اجدادهما اذا كانوا من غسان او حسان كما يدعي الشيخ صالح المذكور . وقد راجعنا الاستاذ منير وهيبه كما وانه قد راجع شيخ المؤرخين الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بهذا الشأن ، فرجحنا له ان جدوده من غسان لا من حسان .

وفي الصيف الماضي زارنا في بيتنا المؤرخ البحاثة الشيخ نسيب وهيبه الخازن فدار الحديث بيننا عن اصل اجداده واثبت لنا انهم وفدوا من بلاد غسان واضاف على قوله انه وضع تاريخاً وشجرة نسبيّة لآل الخازن متسلسلاً من اقدم الجدود الى الان وانه قد عول على طبع هذا التاريخ بالاشتراك مع حضرة القانوني الكنسي الخوري لويس الخازن الذي يملك في خزانته النفيسة وثائق معتبرة لها قيمتها التاريخية .

الفصل الثاني والعشرون

مؤرخ ماروني كبير يشهد بان كتابنا « اصدق ما كان » هو « موسوعة » ترسل اشعة النور والمعرفة الى اعماق مجهولة من صميم التاريخ الشرقي

(البيرق ١٨ و ١٩ ت ٢ ١٩٤٨)

نثبت في ما يلي نص الرسالة التي وجهها حضرة البحاثة الشيخ نسيب وهيبه الخازن مدير قضايا الاملاك الاميرية في المملكة المصرية ، واستاذ الفلسفة منذ ربع قرن في مدرستي الاباء اليسوعيين واخوة المدارس المسيحية بالقاهرة ، وواضع تاريخ مصر وغيره من المؤلفات النفيسة .

بالتواتر والتقليد ، وهذا مما جعلنا ان نعتقد بـل نجزم ان قول الشيخ شيبان هو القول الاصح في هذه القضية ويمكننا ان نعول عليه اكثر من كل مؤرخ سواه .

٧ — ختم الخوري بولس نتائجه المنطقية الفلسفية بقوله : « اذا ثبت غسانية جد آل الخازن فليس هنالك دليل على يعقوبيته » .

قلنا : اذا ثبتت غسانية جد الخوازنة الاعلى ثبت معها انه لم يكن لبنانياً ولا مارونياً عـلى الاطلاق بل كان سريانياً يعقوبياً او سريانياً ملكياً . ثم انتقل الى لبنان واندمج في الطائفة المارونية وهو برهان قوي جلي يؤيد ما اثبتناه في كتابنا « اصدق ما كان »

اخيراً اتصل حضرة الخوري بولس الى القول : « اذا كان جد الخوازنة غسانياً يعقوبياً كيف رضي عند مجيئه الى لبنان بان يأكل مع الموارنة الخلقيدونيين ليس خبز التنور واللحم المشوي فحسب بل الكبة النية والمقلية والمحشية ؟ » .

فيستنتج من هذا القول اللطيف الذي خلط فيه الخوري بولس الهزل بالجد انه لما كتب عبارته هذه كانت مدقات الكبة تشنف اذنيه وروائحها فائحة حوله وهو يتوقع التهامها بفروغ صبر ليأكلها هنيئاً مريئاً !

٨ — واخيراً قال حضرة الخوري بولس :

« قابلنا حضرة الشيخ صالح الخازن الذي قضى حياته في استقصاء اخبار اسرته وجمع الوثائق الراجعة اليها وله فيها عدة ابحاث مشهورة ومقالات منشورة فسألناه رأيه عن اصل الخوازنة الغساني اليعقوبي فاجاب : « نحن لسنا من بني غسان بل من بني حسّان» . فجوابنا على ذلك اننا ما سمعنا قط بالشيخ صالح الخازن ولا قرأنا له شيئاً من ابحاثه المشهورة ومقالاته المنشورة . فهل تستطيع يا حضرة الاب المحترم ان ترشدنا الى تلك المنشورات والمقالات اين وانى ومتى نشرت ؟

واعلم ان استشهادك بكلام الشيخ صالح لا يقدم ولا يؤخر في القضية لانه غير

٥ – ادعى حضرته ان امارة الغساسنة انقرضت سنة ٥٨٣ »

قلنا : ان امارة الغسانيين استمرّت حتى السنة ٦٣٧ كما ذكرنا آنفاً . وكان آخر امرائهم جبلة السادس .

وقد سار الى قصره جثامة العربي ورأى عنده من البهجة والحسن مـــا لم يره بباب هرقل ... رأى جبلة مستويا على سرير قوائمه اربعة اسد من ذهب . وبين ايديه من آنية الذهب والفضة ما لم ير احسن منه ... ثم قال جبلة لجثامة : أتعرف هذه المنازل ؟ قال : لا . قال جبلة : هـذه منازلنا في ملكنا باكناف دمشق . . وروى ابن بكار انه لما ولي معاوية الخلافة الاموية بعث الى جبلة يدعوه الى دخول الاسلام ووعده اقطاع الغوطة باسرها فابى ولم يقبل » (الاغاني ٢: ٢٧٦ – ٢٨١ طبعة الاب انطون صالحاني) هذه امارة الغسانيين اليعاقبة وهـذه كانت منازلهم وامتعتهم وآنيتهم الذهبية والفضية ....

ثالثاً – شطط قرألي في انكاره غسانية الخوازنة

٦ – قال حضرته : « ليس لدينا وثيقة راهنة تثبت ان جـد الخوازنة كان غسانياً » .

قلنا : ان الشيخ شيبان الخازن نفسه قد صرّح بقوله : « هؤلاء الخوازنة قيل انهم من بني غسان » ونحن ايّدنا هذا الرأي بـل رجحناه . ولسنا نعدل عن قول الشيخ الخازني الذي يفتخر بالغسانيين الكرماء النبلاء اجدادي ان لم يورد لنـــا حضرة الخوري بولس قرألي نصاً صريحـــاً يناقض قول الشيخ شيبان رحمـه الله تعالى .

اما هذا الشيخ فلم يدوّن ما دونه بلا سند بل كتب ما كتبه عن يقين ومعرفة . فلا بد انه استند في قوله : « قيل من غسان » الى ما تلقاه من افواه شيوخ اسرته

قلنا : بل تبرهن على انهم كانوا يعاقبة اقحاحاً . ولهذا السبب ساعدوا مساعدة فعّالة يعقوب البرادعي وحليفه تئودور مطران بصرى وعرب غسان وبطاركة السريان اليعاقبة الاولين . ونزيد على ذلك ان اساقفة اليعاقبة تسلسلوا في ادرع وفي بيثونيا حوران وهي بلاد غسانية حتى القرن الثاني عشر . ولو لم يكن لهم هناك جماعات معتبرة لما افرزوا لها كرسيين اسقفيين احدهما في ادرع وثانيهما في بيثونيا حوران . ذلك ما عدا اسقفيات اخرى كانت خاضعة لامارتهم كاسقفية الرصافة وقنسرين والرقّة وبالس ويبرود وحوّارين وتدمر الخ الخ .

٣ – ادعى حضرته . « ان زواج الغسانيين من عدة نساء دليل على انهم لم يكونوا نصارى » .

قلنا : ان هذه دعوى زائفة ملفقة كاذبة رواها نلدكه دون تمييز وهذه مخطوطة لندن رقم ٧٥٤ التي نسخت نحو السنة ٥٧٨ تبرهن على تشبث الغساسنة بدينهم المسيحي. هذا ما عدا الاديار العديدة التي كانت في اراضيهم «المشرق١٠: ١٩٠٧». وكانت تعج بمئات من رهبانهم. نذكر منها : دير ايليا، دير ايوب، دير البرج الابيض، دير بيت ايلونا ، دير روعف، دير بيت حالى، دير بيت يمن، دير تبنين، دير تالي ، دير جفنة، دير جوبايا، دير حدثا ، دير حابون ، دير داريا ، دير ريشايا ، دير كفرجوزا ، دير كفرزعورا، دير كفرسوسيا، دير كفرحور ، الخ . فلو لم يكن الغسانيون مسيحيين حقيقيين لما اسسوا تلك الاديار وعزها رهبانهم الغسانيون بخدمة الله تعالى. وعليه نقول: اننا لم نسمع ولم نقرأ ان الغساسنة النصارى تعودوا التزوج من عدة نساء كما توهم نلدكه ووافقه الخوري بولس على توهمه .

٤ – قال حضرته : « ان الغساسنة لم يكونوا قاطبة يعاقبة بل كان اليعاقبة يؤلفون الاغلبية في مملكتهم » . فجوابنا على ذلك يقابل قولنا نحن عن السريان اللبنانيين الاصليين انهم سبقوا الموارنة للسكنى في اعالي لبنان . وكانوا يؤلفون الاغلبية في لبنان قبل انتزاح الموارنة اليه .

ولمـــا تولى الامارة جبلة السادس (٦٣٠ – ٦٣٧) جاهر بالاسلام وسار الى يثرب في ٥٠٠ فارس من فرسانه الغسانيين (الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ٢:٢٧٦) ومن هنالك فرّ جبلة معهم الى قبادوقية . ومن سلالته يتحدّر نيقفور قيصر الروم (٨٠٢ – ٨١١) (ابن العبري ١٣١ و١٣٢) . هذه خلاصة اخبار امراء غسان . وقد استرسلنا في الحديث عنهم لنبيّن للقراء شطط الخوري بولس قرألي بزعمـــه استناداً الى نلدكه « ان الامارة الغسانية سقطت سنة ٥٨٣ » .

فالخوري بولس نشر مقالا طويلًا شغل اربعة اعمدة من جريدة البيرق بعنوان « طريقة في الاستنتاج » خارجة عن الموضوع . وقد سئم القراء مطالعتها اذ كان يجب ان يحصر كلامه عن آل الخـازن فقط ويفـنّد قولنا انهم غسانيون . ولكنه عجز عن ذلك وجعل يخلط ويخبط ويكرر حتى ختم ردوده او بالحـــري شططه باستنتاجه ثمان نتائج رأينا ان نجاوبه عليها وهي :

ثانياً – تفنيد مزاعم قرألي ان الغساسنة واليعاقبة يختلفون في العقيدة الدينية

١ – قال حضرته : « ان الامراء الغسانيين لم يكونوا جميعهم يعاقبة بل كان بعضهم غير مؤمنين » قلنا ان امراء غسان كانوا غير مؤمنين منذ السنة ٢٠٥ حتى السنة ٣٣٠ ثم تنصروا كما فصلنا على يد جبلة الاول . ثم جاهروا بالمنوفيزيتية عـلى يد نعمان الخامس وظلوا يدافعون عن عقيدتهم حتى جبلة السادس اخرهم . وقـد ذكرنا في كتابنا اصدق ما كان (٢ : ٢٠) ان المنذر بن الحارث زهد في الدنيا وانضوى الى السلك الكهنوتي وسمي « المحب المسيح البطريق المنذر بن الحارث » وكان لهذا البطريق المنذر كنيسة خصوصية طبقاً لعادة الملوك والامراء يقوم بخدمتها كاهن اسمه اوسطاث (مخطوط لندن ١٢٥٤)

٢ – قال حضرته : « ان مناصرة أمراء غسان لليعاقبة لا تدل على انهم كانوا من مذهبهم » .

ايلول عدد ٤٨٣٦ غير انه في هـذه المرّة توسع في الكلام عن الغساسنة مستنداً في اقواله الى ما كتبه عنهم تاودور نلدكه المستشرق الالماني (١٨٧٠ – ١٩٠٤) وفاته ان هذا المستشرق اتبّع مَن سبقه كروبنس دوفـال ولابور اللذين انكرا نصرانية الرها قبل القرن الثالث للميلاد . ونقضا تصريح اوسابيوس القيصري امام المؤرخين البيعيين ، وشهادة سلفيا السائحة التي زارت الرها في القرن الرابـع واطلعت بذاتها على رسالة ابجر ملك الرها الى السيد المسيح الخ الخ .

وعليه لم نستغرب استناد الخوري بولس الى مزاعم نلدكه المذكور الذي اكل الدهر وشرب على ارائه ومزاعمه اذ قال : « ان اول من حكم من الغساسنة هو الحارث بن جفنة ٥٢٧ – ٥٦٩ » . فاستخلصنا من زعمه هذا ان الغساسنة لم يكن لهم امير يتولى شؤونهم قبل القرن السادس . والحال ان امارتهم بـدأت من جفنة الاكـبر (٢٠٥ – ٢٤٨) ... وثعلبة (٣٠٠ – ٣٠٣) الذي قلده قيصر الروم امارة بادية الشام وحوران . ولما تولى الامارة جبلة الاول (٣٣٠ – ٣٦٠) جاهر بالنصرانية . ثم عززتهـــا معاوية او ماوية زوجة الحارث الثاني (٣٧٣ – ٣٨٠) (راجع ميخائيل الكبير صفحة ١٥٠)

وتعاقب الامراء النصارى في غسان حتى النعمان الخـامس (٤٢٠ – ٤٩٠) فمال الى العقيدة المنوفيزيتية وسار مسيره خلفاؤه حتى جبلة الثالث (٤٩٠–٥٢٩) فامست غسان برمتها تابعة ليعقوب البرادعي كما ذكر ابن العبري في تاريخه البيعي . وكان المنذر الثالث (٥٦٥ – ٥٨٠) اول ملك غساني لبس التاج . ولمـا انطلق نعمان السادس (٥٩٧ – ٦٠٠) ليهنيء موريقي قيصر بجلوسه على تخت السلطنة عرض عليه القيصر ان يحضر القداس في الكنيسة فاستعذر النعمان وقال للقيصر : «ان قبائل العرب جمعاء هم يعاقبة فاذا شعروا بمخالفتي اياهم في المعتقد قتلوني لامحالة» (تاريخ الرهاوي ٧٧ وابن العبري ٨٩) فمن قول ابن العبري « غسان برمتها » وقول الرهاوي « ان قبائل العرب جمعاء هم يعاقبة » يستنتج ان الغسانيين كانوا يعاقبة . ويصدق فيهما القول : « ان صاحب البيت ادرى بما فيه » .

واليك كلامنا حرفياً « والى يانوح هاجر من عـــين غسان موسى غانم الغساني واولاده غـانم ومطر وسعادة وضو وكانوا بلا ادنى ريب من القائلين بالطبيعة الواحدة وظلوا مقيمين في يانوح مدة من الزمان حتى انتزحوا الى لحفد في مبادىء القرن الثالث عشر . ونعتقد ان هذه الاسر الغسانية المحتد المنوفيزيتية المذهب كان لها ولغيرها من الاسر السريانية كنيسة او اكثر في يانوح يقيمون فيهـا شعائرهم الدينية » .

فالى هذا الحد بلغ تزويرك يا حضرة الخوري بولس . فاوردت اننا جعلنا القرية كلها وبالتالي كنيستها ملكاً لليعاقبة بمـا لا اثر له مطلقاً في كتابنا ! يا للخداع ويا لقلة الامانة !

نبذ كتابات القس اغناطيوس طنوس (كفرشخنا)

لخلوها من كل صبغة تاريخية او جـدّية

وهنا لا نرى بداً من التصريح بما يلي : طالعنا في عدد البيرق الصادر بتاريخ ٢٧ و ٢٨ ايلول مقالة للاب اغناطيوس طنوس لا يستطيع القارىء ان يستخلص منها شيئاً صحيحاً او مفيداً على الاطلاق بل جميعها سفسطات ومماحكات لا قيمة علمية لها كسابق مقالاته . ولما كانت تلك المقالات غير جديرة بالاعتبار لخلوها من صبغة تاريخية او جدية، فاننا عولنا على نبذها وعدم الالتفات الى ما يخطه كاتبها .

الفصل الحادى والعشرون

آل الخازن وانتسابهم الى الغساسنة

اولا — تخطئة قرألي فى روايته عن الغساسنة

(البيرق ١١ و ١٢ ت/١ ١٩٤٨)

عاد الخوري بولس قرألي وكتب على صفحات « البيرق » بتاريـخ ٢٧ و ٢٨

ميخائيل الكبير المتوفى سنة ١٢٠٠م. اما المخطوط الذي نقلنا عنه اسم مار أبجاي في كنيسة اهدن فقد نسخه بيده المطران جبرائيل بن اسطفان بن ستيتة المـاروني الاهدني في كتاب « الخدم الكهنوتية » في وادي قزحيا عـام ١٥٣٧ والمطران جبرائيل المشار اليه لم يخترع من عنده تلك التسمية لكنيسة اهدن، بل ذكرها في المخطوط الفاتيكاني كما عرفها بنفسه لانه ابن اهدن ولعله تعمد ايضاً في الكنيسة المذكورة. اما عهد اطلاق تلك التسمية فـلا يمكننا تحديده بالضبط ، والارجح انه يرتقي الى العهد السرياني السابق لهجرة الموارنة الى لبنان . ولنا على ذلك حجتان : الاولى تعدد الاسماء لكنيسة واحدة او لدير واحد وذلك غير مألوف ومعروف الا عند السريان كما اوضحنا في كتابنا « اصدق ما كان » (مجلد اول صفحة ٢٤٦-٢٤٩) والثانية انتساب كنيسة اهدن الى مار ابجاي وهو قديس سرياني بحت لا ذكر له الا في سنكسار الكنيسة السريانية. بعد هذه التصريحات الجلية الجدّية هل يغالطنا ايضاً حضرة الخوري بولس في قضية لا جدال في صحتها ؟

الفصل العشرون

قلة امانة قرأالي في نقل ما اثبتناه عن كنيسة « يانوح »

ونبذ كتابات القس اغناطيوس طنوس (كفرشيما)

روى الخوري بولس مناظرنا ما نثبته بالحرف : « اما كنيسة يانوح كرسي بطاركة الموارنة في العصور الوسطى فهي ايضـاً يعقوبية الاصل لان ابن القلاعي يذكر راهباً خرج منها وانضم الى اليعاقبة . وهـذا برهان واضح على ان القرية كلها وبالتالي كنيستها كانت ملكاً لليعاقبة » .

فجوابنا على ذلك هو ان تفتح يا حضرة الخوري بولس كتابنا صفحة ٢٣٠ فتقرأ حقيقة ما دوّناه فيتضح للملا عندئذ سوء نيتك وتحريفك وقلة امـانتك في النقل .

فقد فتشنا كثيراً عن هذا الكتاب فلم نعثر عليه في المكتبات ولعلك (وانت المؤرخ الكبير) تعني الكتاب الشهير « جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة » هذا الكتاب الذائع الصيت بين الخاص والعام . فمن اوحى اليك يا حضرة الاب المحترم هذا الخبر العاري من الصحة ؟ ؟ اعتبرناك مؤرخاً ولكننا ما عرفناك من اهل العرافة والكهانة. فاذا استطعت اثبات ما نسبته الينا من طبع هذا الكتاب فنحن مستعدون لمكافأتك بمبلغ لا يقل عن الالف ليرة لبنانية توزعها على المحتاجين بحسب معرفتك وضميرك .

الفصل التاسع عشر

شهادة مطران مارونی بانتساب كنيسة اهدن

الى مار جرجس ومار أبحاى وستنا مريم

قال عنا الخوري بولس قرألي ما نثبته بالحرف الواحد: «ومن غرائب احكامه ذلك الذي اصدره في تلك اليعاقبة لكنيسة مار جرجس القديمة في اهدن، لانها على زعمه مقامة تكريماً لوالدة الله ومار جرجس ومار ابحاي وبرهانه على ذلك ان هذا القديس الاخير غير معروف الا عند اليعاقبة » .

فجواباً على ذلك نورد هنا ما اثبتناه عن هذه الكنيسة في كتابنا بالحرف الواحد ايضاً : « ان تسمية بيعة اهدن باسم مار ابحاي علاوة على اسم العذراء مريم واسم مار جرجس لا يدع مجالا للارتياب في انها بيعة سريانية بحتة . لان مار ابحاي لا اثر لذكره الا في كلندار السريان دون سائر الكلندارات البيعية شرقاً وغربا وفي جملتها كلندار الموارنة » . وقد ولد ابحاي في ماردين وعاش في عهد تئودوسيوس الكبير (٣٧٩ — ٣٩٥م.) وابتنى رهبانه ديراً بجوار « سويرك » اشتهر باسمه وعرف ايضاً باسم دير السلالم . وقد كتب ترجمة هذا القديس البطريرك السرياني

هذا الزعم. اما المخطوط الذي يشير اليه حضرة الخوري بولس فله ان ينقل عنه ما شاء. ومن المعلوم ان الملكيين كانوا كاليعاقبة والموارنة والنساطرة سرياناً بالدم واللهجة القومية ولغة الطقس البيعي. وقولنا هذا يشمل جميع الفروع المنبثقة من الامة السريانية على السواء.

قال الخوري بولس ايضاً: « والمطران ديوسقورس ضو ورهبانه يملأون لبنان من نسلهم لانهم كانوا غير متزوجين » فالى هذا الحد وصل احتقارك المقرون بالتهكم على حبر من احبار الدين المسيحي وعلى رهبانه ولو كانوا على غير معتقدك، وذلك ان تنسب اليهم متهكماً هذه التهم المستنكرة التي لا تليق بكاهن مثلك ان يتلفظ بها على صفحات الجرائد ؟؟! واذا كنت تحتقر المطران ديوسقورس عيسى بن ضو الى هذه الدرجة القصوى من الاحتقار، فاعلم انه يتمتع عند بني عقيدته وغيرهم باعظم احترام لما تزين به من الفضائل التي اهلته ان يتولى الكرسي الرسولي الاورشليمي الذي هو عند السريان ارفع الكراسي واشرفها بعد الكرسي الانطاكي والكرسي المفرياني. وبعد هذا فهل يهون عليك يا كاهن الله العلي ان يقوم احد اليعاقبة المتهوسين فينسب اليك والى احد احبار طائفتك ورهبانها (لا سمح الله) ما نسبته انت عمداً واستهزائاً الى المطران ديوسقورس ورهبانه. الا تعلم ان موقفنا هو موقف وقار وادب يلزمنا نحن المتناقشين ان نحافظ على هذه الخطة القويمة ولا نحيد عنها لان قراء الجريدة يؤلفون العشرات من الالوف بين بطاركة ومطارنة ومشايخ ورجال ونساء وطلاب المدارس من كل معتقد ومذهب؟. أبهذه الطريقة المستهجنة تريد يا حضرة الخوري بولس ان تكون لكتاباتك القيمة العلمية التي انكرتها على جميع مؤرخي الاسر المارونية ليتسنى لك التلاعب باخبارها طبقاً لمراميك الملتوية؟.! وهل ظننت انك بهذه الوسيلة تنفرد بثقة ابناء الطائفه المارونية وتصبح المؤرخ الفذ الذي لا يجارى في عصرنا ويصبح اسمك مقروناً باسم امام المؤرخين الخالد الذكر البطريرك اسطفان الدويهي رضوان الله عليه ؟

اما اتهامك ايانا بطبع كتاب « البراهين الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة »

يجب ان يطبّق عليها بكل صواب وعدل لانها خالية لا من كل قيمة علمية فقط ، بل من كل قيمة ادبية ايضاً .

واعلم يا حضرة الخوري بولس ان المؤرخين اللبنانيين الذين رذلت تواريخهم كتبوا ما كتبوه عن صدق ويقين ولم يتعرضوا لغيرهم ببذاءة الكلام وقلة الاحترام. بل جاءت كتاباتهم سليمة مقرونة بالتهذيب واللياقة وكمال الادب .

والان فنحن نسأل اركان تلك الاسر ومؤرخيها ومفكريها : هل يرضون بزاعم الخوري بولس قرألي هذه ؟ وهل ما كتبوه عن اسرهم هو في الحقيقة اوهام وتخيلات لا صحة لها ؟ وعلام اذاً اضاعوا الزمان عبثاً في كتابة ما ليس له قيمة ؟ . ثم اننا نسأل الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف شيخ المؤرخين في عصرنا ونسأل كذلك الخوراسقف يوسف داغر رئيس الديوان الاسقفي الماروني والسيد نصري لحود والخوري جرجس ابي سمرا وعبدالله حشيمة وغيرهم وغيرهم ممن عدد الخوري بولس اسماءهم ومؤلفاتهم ليصرّحوا لنا : هل يقبلون بما نسبه اليهم الخوري بولس من الاوهام والتخيلات في ما كتبوه ونشروه عن اسرهم رغبة في التحدر من ملوك وامراء ورجال عظام ... ؟ ام يحكمون عليه مثلنا بالخفة وقلة التروّي .

الفصل الثامن عشر

رواية قرألي عن الشيخ جمعة العنحلي وتحرشه بكرامة

المطران ديوسقورس عيسى بن ضو ورهبانه

استطرد الخوري بولس يقول : « فالشيخ جمعة النازح من عين حليا كان بشهادة الدويهي نفسه ملكياً لا يعقوبياً » . فجوابنا على ذلك اننا راجعنا تاريخ الدويهي المطبوع وثلاث مخطوطات من هذا التاريخ فلم نعثر فيها على نص يؤيد

واثباتاً للحقيقة نورد مـا دوّنه سيادة المطران اغوسطين البستاني عن نسب البطريرك بولس مسعد وسلسلة اجداده بموافقة البطريرك الياس الحويك والسادة المطارنة يوسف نجم ويوسف دريان وبولس مسعد قال : « هو بولس بن مبارك بن يوسف زيادة بن مسعـــد بن ابي مسعود خاطر بن ثابت بن خاطر بن داود ابن الشدياق يوسف ابي رعد المسمى خاطر المقدّم في جبة بشري ابن الشدياق الحصروني من بيت مشروق ابن رعد بن شاهين الذي ارتحلت اولاده من صدد الشرق الى قرية حصرون سنة ١٤٧٠ » (المشرق سنة ١٩٣٠ صفحة ٧٢١) فهل هؤلاء باجمعهم كاذبون ومخدوعون وانت وحدك يا حضرة الخوري بولس المؤرخ الصادق في زعمك ومدعاك ان « الشيخ شاهين المشروقي انقطع نسله » ؟

الفصل السابع عشر

استنكار قرألي تواريخ الاسر المارونية وزعمه ان لا قيمة علمية لها

لم يقف الخوري بولس عند هـذا الحد من التمويه والتشويش والمغالطة ، بل تجاسر ان يتحامل على مؤرخين اجلاء افاضل كتبوا الشيء الكثير او القليل عن اسرهم المارونية فقال عنها حضرته :

« ان هذه التواريخ ليس لها قيمة علمية فلا يجوز التعويل عليها لانها محشوّة باوهام وتخيلات صادرة عن رغبة التحدر من ملوك وامراء ورجال عظام ... » فكيف تجاسر ان يحكم على جميع مؤرخي الاسر المارونية في عصرنا ان تواريخهم لا قيمة علمية لها ! بل انكر عليهم ما دوّنوه من حقائق ثابتة واخبار راهنة عن ماضي اسرهم. فلو درس حضرته تلك التواريخ وبيّن مـــا فيها من صحيح وغير صحيح لاحرز ثقة ارباب المعرفة وثناءهم واعتبارهم .

ولكنا نرى باسف شديد ان كتاباته وانتقاداته هي اولى بهـذا الحكم الذي

اما القس يعقوب ورفقاؤه فرحلوا الى دير مار موسى الحبشي في البرية. » هذه هي عبارة الدويهي بحرفها الواحد. اما حضرة الخوري بولس فقد اضـــاف اليها عمداً كمألوف عادته العبارة : « واستراح جبل لبنان من اليعاقبة الغرباء » . مع ان البطريرك الدويهي يقول صريحاً انهم انهزموا الى حردين والى كفرحورا . فيستنتج من تصريح البطريرك المغبوط ان اليعاقبة ظلوا مقيمين في لبنان الشمالي ولا سيما في حردين وفي كفرحورا واقاموا وتسلسلوا هناك ، خلافاً لما ادّعاه الخوري بولس بزعمه ان جبل لبنان « استراح من اليعاقبة الغرباء » . هـذا ايضاً تزوير اخر من تزويرات الخوري بولس .

الفصل السادس عشر

تكذيبنا ما دونه قرأتي عن انقراض نسل شاهين المشروقي بشهادة بطاركة طائفته ومطارنتها

استتلى حضرته يقول : « بقي من اليعاقبة النازحين الى لبنان الشيخ المشروقي الذي استوطن حصرون . الا انه انقطع نسله بمقتل احفاده الثلاثة اولاد الشدياق يوسف خاطر » .

قلنا ان هذا زعم باطل يكذبه التاريخ الصحيح بلسان البطريرك بولس مسعد الخالد الاثر الذي يتباهى بتحدّره عن اسرة شاهين المشروقي الصددي . وقد ايّد ذلـــك فريق من الاحبار والمؤرخين الاعلام كالمطران يوسف الدبس والمطران يوسف دريان والمطران يوسف نجم والمطران اوغسطين البستاني، والشيخ طنوس الشدياق والشيخ بولس مسعد وجميع آل السمعاني وعواد ومسعد وشدياق وفرحات ومطر والحاج وهلم جراً . فهؤلاء قاطبة يثبتون سراً وعلناً وقولا وكتابة ان جدهم هو شاهين المشروقي الوافد من صدد الى لبنان .

كتابنا «اصدق ما كان عن تاريخ لبنان» تحدير الاسر المارونية جلها واجلها ان لم نقل كلهـــا من ارومات يعقوبية» . واضاف الى ذلك ادعاءه باننا قلنا : «ان المئات من هذه الاسر ومئات الالوف من افرادهـا خارجون من صلب سبعة او ثمانية جدود يعاقبة» . ثم استتلى يقول كذلك: اننا «جاهدنا جهاد الابطال لاعادة جميع اسر لبنان الشمالي المارونية الى اصل يعقوبي» .

فجوابنا على كل هذه المغالطات والمبالغـات هو: ان الاسر السريانية الاصلية التي انضمت في اول امرها الى الطائفة المارونية وذكرناها واحدة فواحدة لاتكاد تتجاوز عشرين اسرة! بقطع النظر عمن تسلسل عنها مع توالي الزمان. وهو عدد طفيف جداً بالنسبة الى مجموع الاسر المارونية. فما بال الخوري بولس يشط ويبالغ مدعياً باننا قلنا: ان الاسر المارونية كلها ومئات الالوف من افرادها خارجون من صلب سبعة او ثمانية جدود يعاقبة ؟ فهل يجوز لمؤرخ عاقل عادل ان يتهـوّر الى دركة كهذه من التزوير والمبالغة والتطرف. فيفقد اعتبار العموم وثقة اهل العلم الصحيح؟ ولكن هو الغرض الاعمى يسوق صاحبه الى تشويش الاخبار وبلبلتها طبقاً لاهوائه! وياليت حضرته وقف عند هـــذا الحد من الشطط ولم يضف الى الاسر التي سردنا اسماءها في كتابنا اسراً جديدة كاسر : عقـل وشديد وصفير واسطفان وبليبل. فنحن لم نذكر هذه الاسر ولم نقل انها سريانية الاصل ابداً ، وجل ما هنالك اننا اوردنا اسم المطران عبدالله بليبل لتحدره من جدته العليا «مريم طربيه» السريانية الاصل (راجع كتابنا صفحة ١٤٤) والمطران يوسف اسطفان لتحدره من امـه «مالات» صقر التي تتحدر عائلتها من اصل سرياني (راجع كتابنا صفحة ١٤٧) ثم ان مناظرنا بعد ما نقل عن البطريرك الدويهي خبر انتزاح اولاد شاهين المشروقي من صدد واولاد الشيخ جمعة من عين حليا والشدياق جرجس ابن الحاج حسن من نابلس قال ما نصه :

« فلما عرف اليعاقبة في جبة بشري بذلك وقع في قلوبهم الخوف وتفرّقوا .

ففر بعضهم الى حردين وآخرون الى كفرحورا وآخرون سافروا الى قبرص .

ميخائيل الرجّي . وليس كما شاء ان يصورهم الخوري بولس قرألي بلا تروّ وعن سوء نية طبقاً لمبادئه المستهجنة واغراضه الملتوية . ولقد كان الجدير بك يا حضرة المنتقد ان تعالج بالصدق والامانة تلك الحقائق الجوهرية التي اوردناها والتي تفنّد كل مفترياتك الباطلة ومدعياتك الفارغة .

فهل تظن يا ايها الاب الوقور ان هذه المغالطات وامثالها التي لايسعنا تعدادها لكثرتها تنطلي علينا وعلى من له ادنى المام بالتاريخ ؟ .

فاذا كنت يا حضرة الخوري بولس ترغب ايضاح الحقائق على جليتها وتبييض وجهك امام طائفتك لتنال رضى رؤسائك الاجلاء وتكسب احترام الشعب ، فعليك ان تسلك الطريقة السوية في سرد الحوادث بلا زيادة ولا نقصان لكي يكون لكلامك وزنه واعتباره في الاوساط العلمية .

والا فاننا نتركك وشأنك لتتلاعب بكتاباتك وشهاداتك ومراجعك المحرّفة التي ليس لها اول يعرف ولا آخر يوصف .

الفصل الخامس عشر

اتهام الخوري بولس قرألي ابانا زوراً بتحرير الاسر المارونية جلها واجلها من اروماتٍ يعقوبية

(البيرق ٤ و ٥ ت/١ ١٩٤٨)

افرغ حضرة الخوري بولس قرألي كل ما في جعبته من قديم وحديث ومن صحيح وغير صحيح واطرفنا بكلمة فاصلة قاطعة على زعمه عن الاسر السريانية المنضمة الى الطائفة المارونية . ومما ذكره عنا : « اننا توخينا في الجزء الثاني من

الفصل الرابع عشر

تكذيبنا ما نسبه الخوري بولس الى السريان من الجهل والفقر بشهادة عالم ماروني

جاء في ردك ايضاً يا حضرة الخوري بولس «ان اليعاقبة جاءوا الى لبنان جائعين شحادين مثل الكهنة الذين يأتون الينا من بين النهرين للاستعطاء !» فنحن نسأل رئيسك الاعلى المغبوط هل يرضى ان يتحامل الخوري بولس قرألي على طائفتنا السريانية وعلى كهنتنا بمثل هذه الاقوال التي يستنكرها الدين المقدس ويشمئزها كل عاقل فضلا عن كونها عارية من الصحة !! . فالسريان وكهنتهم لم يكونوا جائعين شحادين كما توهم الخوري بولس قرألي ! لكنهم كانوا من الجهابذة والعلماء الاعلام . ويكفينا لتأييد ذلك ما اثبته زميلك البحاثة المدقق المونسنيور ميخائيل الرجي كاتب اسرار البطريركية المارونية الجليلة، قال : «فاليعاقبة وبينهم رهبان علماء قد غمروا الاديرة والكنائس بل البلاد كلها بمخطوطاتهم الطقسية وغيرها . ونساخهم اخذوا يخطون الكتب لحساب الموارنة .

وهؤلاء قد خلب بعضهم بمظاهر العلم والفن والجاه التي كانت لضيوفهم اليعاقبة فاهملوا كتبهم العتيقة واخذوا باقتناء هذه الكتب الجديدة وبالنسج على منوالها وبالنتيجة باستعمالها» (مجلة المشرق ٣٣ : ١٩٣٥ : ٤٨١ — ٥٢٢) . ونضيف الى ما تقدم شهادة الاب ايرونيموس دنديني سفير الحبر الروماني لدى الموارنة اذ صرح قائلاً : ان السريان نقلوا من بلادهم الى الكنائس والاديار والدساكر اللبنانية التي يستوطنونها خمسين او ستين حملاً من المخطوطات السريانية على ظهور البغال» (رحلة الاب دنديني : فصل ١٩) .

تلك هي حقيقة احوال كهنة السريان ورهبانهم خلال الحقبة اليعقوبية بلبنان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر كما صرّح حضرة البحاثة المنصف المونسنيور

حتى الآن بل رحت تدّعى ان الملكة تئودورا زوجة الملك يوستينيان كانت «بهلوانية» وان والدها كان « حارساً لوحوش الملعب » فنحن ايضاحاً للحقيقة نحيلك الى ما دوّنه المفريان ابن العبري الذي يشهد كل المؤرخين بصدق رواياته . فقد كتب في تاريخ الدول السرياني (صفحة ٢٧٨) يقول : « ان يوستنيان سار الى منبج في اول عهد مملكته وقيل له عن تئودورا ابنة الكاهن اليعقوبي في تلك المدينة فطلبها من ابيها . اما ابوها الكاهن الوقور فلم يرض ان يخطّبها الا بعد ما عاهده يوستنيان بانه لا يضطرها ان تقبل المجمع الخلقيدوني . » ونزيد عليه ان يوحنا الآمدي اسقف آسيا المؤرخ المعاصر لتئودورا كتب يقول : « كانت الملكة تئودورا المؤمنة تتعهد كل يومين او ثلاثة ايام جمهور الاحبار والرهبان اللاجئين اليها في بلاطها الملكي المسمى «هرموزدا» في القسطنطينية . وكان عددهم يربي على الخمسمائة ، فكانت تطوف عليهم وتتبرك منهم وتنحني امامهم باحترام وتقبل يد كل فرد منهم وتدر عليهم عوارفها بكل سخاء . وقال المؤرخ ذاته يوحنا « وقد شيدنا نحن بامر هذه الملكة وكرمها ثاني وتسعين كنيسة واثني عشر ديراً . . » (تاريخ يوحنا اسقف آسيا خبر ٤٧ صفحة ٦٨١ مجلد ١٨ من الباترولوجيا اوريونتاليس) .

اما انت فغمضت عن تاريخ ابن العبري وعن تاريخ يوحنا اسقف آسيا ورحت تأتينا بشهادة من مؤرخي الافرنج في العصر الحاضر . فعلى اي مؤرخ يجب ان نستند ؟ اعلى المؤرخين الاقدمين الذين شهدوا الحوادث والاشخاص والمشهود لهم بالاستقامة والامانة؟ ام على مؤرخي هذا العصر الذين لا المام لهم باخبار السريان!؟.

ثم قلت كذلك : « ان الصليبيين ادخلوا اليعاقبة الى لبنان ثم اخرجوهم منه عندما انتهت حروبهم . » ونحن نرغب ان تدلنا على المصدر الذي استندت اليه في هذه الرواية . والا فيكون ذلك اكذوبة جديدة من اكذوباتك العديدة . واعلم ان الصليبيين قبل ارتحالهم عن لبنان سلموا الى السريان اليعاقبة ديرهم الشهير المعروف بدير البلمند والذي بقي في ايديهم اكثر من ثلاثمائة سنة . فلماذا سلموه اليهم ولم يسلموه الى غيرهم من الطوائف المسيحية ؟ ؟ .

الجبة) وفي وادي الذخائر وهو وادي قاديشا قبل قدوم الموارنة اليه .

زد عليه ان السريان كان لهم كرسي اسقفي في جونيه في القرن التاسع اعني قبل نزول الموارنة من اعـالي لبنان الى سواحله . واعلم ياحضرة الاب الجليل ان « جونيه » كما يلفظها اللبنانيون حتى اليوم ليست من لفظة « جون » كما توهمت انت، لكنها لفظة سريانية بحتة كاغلب اسماء قرى لبنان ومعناها « الزوايا » .

وقد هزأ بنا حضرته قائلا : اننا صرفنا خمسين سنة لتأليف كتابنا « اصدق ما كان » وانه يقتضي لنا خمسون سنة اخرى للرد على انتقاداته ! فنحن نشكره عـلى هذه الشهادة التي تدل عـلى الرزانة والحكمة وسداد القول والعمل ذلك يذكرنا بالقول المأثور : « العجلة تورث الندامة » وبالمثل الاخر « العجلة من الشيطان ، والتأني من الرحمن » .

والآن هل تستطيع ياحضرة الاب المحترم ان تأتينا بادنى دليل او شهادة تؤيد نزول الموارنة عند هجرتهم الى لبنان عـلى سريان «خلقيدونيين » حسب زعمك لا على سريان « يعقوبيين » ؟ مع العلم ان الخلقيدونيين كانوا منتشرين غالباً في مدن لبنان الساحلية بعكس اليعاقبة الذين كانوا منتشرين في اعالي الجبل ووسوطه حيث نزل الموارنة اولا كما تؤيد ذلك آثارهم التاريخية الباقية الى يومنا . وقـد ذكرناها في كتابنا « اصدق ما كان » .

الفصل الثالث عشر

تحقير الخوري قرأالى الملكة تيودورا السريانية وايضاحنا حقيقة منزلتها الدينية والقومية

انك ما اكتفيت يا حضرة الخوري بولس بالمغالطات التي اوردناها من اقوالك

به . ولبث هؤلاء السريان سريانا في لبنان حتى قدم اليه الموارنة في سلخ القرن السابع واوائل القرن الثامن فاستأنسوا بالسريان ابناء البلاد الاصليين الذين رحبوا بهم ترحيبهم باخوان لهم في اللغة والطقس . فآلفوهم وصاهروهم وآكلوهم وشاربوهم وامتزجوا بهم وتحدثوا معهم باللغة السريانية التي كانت دارجة بين الفريقين . وفيها كانا يقيمان الشعائر الدينية ... »

فمن نص كلامنا يتضح للقارىء جلياً اننا لم نقل ان سكان لبنان كانوا « يعاقبة» ومنقسمين الى طوائف كما ذكر الخوري بولس ، بل قلنا انهم كانوا سريانا بحتاً .

وقد اخطأ حضرته بقوله : « فاكبر الظن ان مقاطعات البترون وجبيل وجبة بشري التي نزل فيها الموارنة في اول هجرتهم كانت مأهولة بسكان اصليين من الموارنة» « والصحيح ان يقال : انها كانت مأهولة بسكان اصليين من السريان لا من الموارنة، لان الموارنة كانوا الى ذلك العهد دخلاء على السريان ثم امتزجوا بهم امتزاج الماء بالراح . » فنحن نكرر تصريحنا السابق ونقول : ان سكان لبنان الاصليين قبل قدوم الموارنة اليه لم يكونوا الا سرياناً . ولما جاء الموارنة كما سلف القول امتزجوا باولئك السريان وقاموا وقعدوا بينهم وعاشوا معا كاخوان .

ويطلب الخوري بولس منا ان نثبت له ان « الفونيقيين فرع من السريان » فنحن لم نقل انهم فرع من السريان، بل قلنا انهم من الامة الآرامية السريانية (مجلد ١ صفحة ٢) . وقولنا هذا تؤيده شهادات راهنة اثبتها اشهر الكتبة والمؤرخين . ولاجل ذلك نحيلك يا حضرة الاب الى مطالعة آية مرقص الانجيلي (٧ : ٢٦) ومقدمة النحو السرياني تأليف العلامة المطران اقليميس يوسف داوود (فصل٣ صفحة ٩٨ — ١٢٤) .

فالموارنة كما صرحت انت نفسك انما نزلوا في اعالي لبنان حيث كان السريان اليعاقبة منتشرين . وهذا مخطوط لندن الثمين اليعقوبي المنسوخ في السنة ٥٠٩ ميلادية يصرّح بان السريان الأقحاح ورهبانهم كانوا يسكنون في الحدث (حدث

فرقتين : فرقة خلقيدونية قائلة بطبيعتين في السيد المسيح ، وفرقة منوفيزيتية قائلة بطبيعة واحدة . ولم يتبدل موقف المسيحيين في لبنان الا بدخول الموارنة اليه » . فيتضح اننا لم نورد في هذا النص لفظ « يعاقبة » لان هذا اللفظ لم يدرج استعماله او بالحري اطلاقه على القائلين بالطبيعة الواحدة الا في اواخر القرن السادس على يد يعقوب البرادعي اسقف الرها المتوفى عام ٥٧٨ للميلاد . فليراجع حضرة الاب بولس نص كتابنا (مجلد ١ صفحة ٤٠و٤١) وليعمل الروّية فيه لينتبه الى غلطته وتحريفه .

وقال ثانياً : « ان سكان سوريا والجزيرة ولبنان كانوا ... امة واحدة خاضعة لبطريركية انطاكية . ثم تفشت البدع في سوريا فانقسموا الى اربع طوائف : نساطرة ويعاقبة وموارنة وملكيين ».

فجوابا عليه نقول: ان الانقسام بدأ منذ انفصال النساطرة عام ٤٣١ في المجمع الافسوسي وانفصل بعدهم المنوفيزيتيون عام ٤٥١ اعني منذ عهد المجمع الخلقيدوني المسكوني المقدس كما يعلم ذلك كل خبير بالتاريخ البيعي . اما اسم «يعاقبة » فلم يدرج استعماله كما نوّهنا آنفاً الا في اواخر القرن السادس . فما بال الخوري بولس يحرّف التاريخ ويطلق اسم « يعاقبة » قبل ظهوره بمائة سنة ونيف على السريان سكان لبنان الاقدمين ؟ .

وقال الخوري بولس ثالثاً : « فالنساطرة واليعاقبة والموارنة والملكيون ... جميع هؤلاء سريان . فلماذا يخصص حضرته (اعني المؤلف) هذا الاسم بملته ويدعي انها سبقت جميع الطوائف الى سكنى لبنان حين كانوا كلهم امة واحدة متحدة خاضعة لبطريركية انطاكية ؟.»

فجوابنا على ذلك هو : ان اللبنانيين المتنصرين قاطبة كانوا سريانا وظلوا سريانا حتى ظهرت الفرق الاربع اعني النسطورية والمنوفيزيتية والمارونية والملكية . غير ان كلا من تلك الفرق الاربع اتخذت لها بتمادي الزمان اسماً خصوصياً عرفت

كرسي ابرشية الحدث الاسقفي رعاة عديدون قبل المطران غريغوريوس يوسف الكرجي وبعده لم تتصل بنا اسمائهم . وذلك لما حل ببلادنا الشرقية من الرزايا المختلفة كالحروب والاضطهادات واكتساح بلدان وقتل وما شاكل ذلك من الآفات التي لم تبق لنا اثراً من آثار الحضارة . نذكر منها المكتبات الثمينة المحتوية على الوثائق التاريخية واخبار القرون الغابرة .

الفصل الثاني عشر

تحريف الخوري بولس قرألي كلامنا عن السريان سكان لبنان واطلاقه عليهم لقب يعاقبة قبل ظهور هذا اللقب باكثر من مائة سنة

(البيرق ٢٧ و ٢٨ ايلول ١٩٤٨)

تابع الخوري بولس قرألي حملته علينا بمقالاته في جريدة البيرق الغراء شط فيها وتباعد عن الحق والصواب . فشحنها باغاليط وافرة لا يسعنا السكوت عنها ، فحرّف كلامنا حسب عوائده ونسب الينا زوراً ما لم نكتبه على الاطلاق . قال حضرته : « نحن نسلم بان الموارنة حين نزوحهم الى لبنان في اواخر القرن السابع وجدوه مأهولا بالسريان . غير ان هؤلاء السريان الذين نزلوا بينهم لم يكونوا يعاقبة . » فزاد الخوري بولس من كيسه لفظ « يعاقبة » ليقوّض البنيان الذي أسّسناه في كتابنا « اصدق ما كان » شأنه في كل سانحة ، فاننا نراه يدس بلا مسوغ لفظة « يعاقبة » تضليلاً للافكار وتشويهاً للحقيقة بدلا من ان يحافظ على النصوص دون الالتجاء الى التحريف والتزييف . وهاكم نص كلامنا بالحرف الواحد:

« في العصور النصرانية الاولى لم يكن من المسيحيين في اعالي لبنان ووسطه سوى السريان سكانه . واصبح اولئك السريان اللبنانيون منذ القرن الخامس

نقده عن «الحدث» الى ترجمة الاب شابو لتاريخ ميخائيل الكبير. فذكر اسقفيتين سريانيتين لمدينتين تحملان اسم « الحدث » احداهما في قيليقيا قريبة من مرعش وثانيتهما في مقاطعة بابل.

فنحن مع اعتقادنا الراسخ بان ما كتبناه عن سلسلة اساقفة « الحدث » اللبنانية هو الصواب فقد طلع علينا حضرة الخوري بولس قرالي بما يخالف قولنا ورأينا. فنقل عن الترجمة الفرنجية التي نشرها الاب شابو لتاريخ ميخائيل الكبير ان «الحدث» المقصودة هنالك هي كرسي «الحدث» في قيليقيا بجوار مرعش ثم كرسي «الحدث» في مقاطعة بابل.

ومصداقاً لروايتنا فليقرأ الخوري بولس قرالي ما ورد في مخطوط سرياني محفوظ في مكتبة كمبردج تحت رقم ٢٨٨١ وهذا نصه : « لما كان تاريخ سنة ١٨٣٠ للاسكندر (١٥١٩ م.) في شهر آب كان الاب المطران يوسف الكرجي مار غريغوريوس مطرانا على القدس والشام وعين حليا وعين حور ونصف صَدَدْ وقرية الحدث . . . »

فهذه الشهادة الصريحة التي حفظها لنا مخطوط كمبردج لا تترك مجالا للأرتياب بان بلدة الحدث اللبنانية كانت في سالف الزمان كرسيا اسقفياً للسريان اليعاقبة. ولا يمكن ان تكون الحدث هذه هي حدث مرعش في قيليقيا او حدث بابل العراقية لانها تبعدان بعداً شاسعاً عن مركز رعاية المطران غريغوريوس يوسف الكرجي المشار اليه. ذلك كان في جملة الدواعي التي حملتنا على اعتبار مطارنة « الحدث » الذين ادرجنا سلسلة اسمائهم في كتابنا رعاة لكرسي ابرشية الحدث اللبنانية. ويؤكد لنا مخطوط كمبردج المار ذكره ان الحدث او « حدث الجبة » كانت لا تزال مع وادي الذخائر مأهولة في القرن السادس عشر بالسريان المونوفيزيتين. ومن المعلوم ان هذه البلدة ايضاً كانت مأهولة بهم منذ القرنين الخامس والسادس تبعاً لمخطوط لندن الشهير وغيره من المخطوطات الثمينة. ويترجح لدينا انه تولى

مع ثلاثمائة مخطوط مكتوبة على رق الغزال من ذلك الدير بما يعادل ثقلها ذهباً ، فكان الرهبان يجعلون كل مخطوط في كفة الميزان وكان المستر تاتام يضع الذهب في كفة الميزان الاخرى . ففي ذلك المخطوط النفيس يقرأ ما تعريبة عن الاصل السرياني :

« انا يعقوب الراهب الآمدي كتبت هذا الكتاب . . . فليكن تذكار لمار ملكا وليتحنن عليه المسيح فادينا في يوم الدين آمين . وليمنحه المسيح حصة مع القديسين الذين ارضوا مشيئته. فليكن تذكار للاونطي الذي من « حدث لبنان» لانه بالقرب منه تم هذا العمل وكان السبب لكتابة هذا الكتاب. فليكن تذكار لمار حلفاي الزاهد المقيم في لبنان ولتكن صلاته سوراً في يوم الدين لمن كتب . نعم آمين »

يلاحظ القارىء ان لفظ « الحدث » في هذا النص لا يدع مجالا للريب في ان البلدة لبنانية وان سكانها سريان في القرن الخامس وبدء القرن السادس . وهذا ما استدرجنا الى الاعتقاد بان « حدث الجبة » المأهولة بالسريان ورهبانهم منذ قديم الزمان اصبحت كرسيا اسقفياً وتتابع فيها الاساقفة من ايليا الاول الذي نصبه البطريرك قرياقس (٧٩٣ – ٨١٧) حتى الاسقف طيمثاوس الذي وضع اليد عليه البطريرك يوحنا الحادي عشر (١٠٤٢ – ١٠٥٧) واعتمدنا نحن في روايتنا على النص السرياني لسلسلة البطريرك ميخائيل الكبير الذي اكتفى باثبات لفظ « الحدث » مجرداً فقال : « ان قرياقس البطريرك نصب ايليا اسقفاً للحدث وان باسيل البطريرك نصب شمعون مطراناً للحدث الخ » ولم يزد شيئاً على ذلك قطعاً .

اما الخوري بولس قرألي فما كاد يعثر على روايتنا هذه حتى رقص لها طربا واخذ يلوح شمالا ويميناً كانه استولى على صخرة جبل طارق او ظفر باكتشاف عظيم تعذر على ابطال الدين والدنيا ان يظفروا بمثله . ولشدة فرحه بذلك راح يبشر به في المجالس ويطنطن عنه في صدر الجرائد بحروف بارزة ضخمة . واستند حضرته في

فهل من بيّنة اصرح واوضح من هذه البينة تبرهن على ان الموارنة ثاروا على السريان واحتلوا اراضيهم واغتصبوا خيراتهم ؟ فما بال الخوري بولس يحاججنا وينقم علينا اذا قلنا ان الموارنة استحوذوا على اديار السريان وكنائسهم ؟ بل ما باله ينكر اليوم ما اثبته في الامس ؟

ثم ادعى اننا قلنا « ان اليعاقبة كانوا وما برحوا سكان لبنان الاصليين وان الموارنة دخلاء عليهم ومدينون لهم بكل ما في ايديهم من ارزاق وما في عقولهم من ثقافة دينية وادبية وهم يعيشون الان من خيرهم وكدهم ! !

فهذا القول الذي اوحته اليه مخيّلته ليس الا افتراضاً وهمياً لا يستند الى اساس بتة . لاننا على يقين تام من اننا لم نخط كلمة واحدة تشف عما يحاول الخوري بولس قرألي ان ينسبه الينا زوراً ليموه به على عقول السذج .

ثالثاً — بيان الحقيقة عن كرسي ابرشية « الحدث » واثبات وجود كرسي اسقفي لليعاقبة فيها

ادعى الخوري بولس قرألي اننا نقلنا حدث بابل الى لبنان وجعلنا منه كرسياً اسقفياً يعقوبيا. فجاء هذا الادعاء بغير محله . وبياناً للحقيقة نثبت ما يلي .

اطلق اسم « الحدث » على بعض المدن السريانية نوهنا بذكر واحدة منها وهي واقعة في شمالي لبنان غير بعيدة عن غابة الارز . ويدعوها العامة « حدث الجبة ». وقد عرف السريان هذه البلدة قديماً ثم استعمرها رهبانهم واطلقوا على واديها اسم وادي الذخائر وهو المعروف اليوم « بوادي قاديشا » اعني الوادي المقدس. واسم الحدث اللبنانية ورد في مخطوط سرياني ثمين محفوظ في مكتبة لندن منسوخ في السنة ٨٢٠ للاسكندر (٥٠٩ م) وقد نقل اليها من دير السيدة المعروف بدير السريان في وادي النطرون بمصر. وقد اشتراه المستر تاتام المستشرق الانكليزي سنة ١٨٤٢

اما حضرة الخوري بولس قرألي فقد ادعى اننا « حاولنا ان نهدم صرح تاريخ الطائفة المارونية وامجادها » مع اننا في اعتقادنا عززناها بتمحيص اخبارها واخبار السريان اللبنانيين .

ولم يقتصر حضرته على ذلك بل شط في قوله بان الجزء الثاني من كتابنا برهان على ان جميع الاسر المارونية متحدرة من اجدادنا «اعني من اسر يعقوبية» وهو قول من الغلو بمكان . فنحن نحتج على هذا الافتراء بكل قوانا وندعو جميع من يهمهم الامر ان يراجعوا كتابنا فيشاهدوا اسماء الاسر السريانية الاصل اسرة فاسرة ويقفوا على تاريخ هجرتها الى لبنان وانضمامها الى الطائفة المارونية . ويستنتجوا من ذلك كله اننا لم نقل قطعاً « جميع الاسر المارونية » فعلام هذا التمويه والغلو ؟ وهذه الاسر السريانية التي انضمت الى الطائفة المارونية لم نذكر اصلها السرياني الا باستنادنا الى بيانات مؤرخي الموارنة انفسهم .

ثم زعم حضرته اننا « نكدّس المراجع والمظان والاوهام لنثبت ان كل ما للطائفة المارونية من ابرشيات وكنائس واديار واوقاف ومخطوطات قديمة ثمينة وما في حوزة ابنائها من عقار وزرع وضرع كانت ملكاً لاجدادنا ... (كذا) »

والحقيقة الراهنة هي عكس ذلك اننا اوردنا اسماء الكنائس والاديار التي كانت تخص السريان في لبنان منذ القديم والكنائس والاديار التي احدثوها بعد القرن الثالث عشر كما اننا ذكرنا استيلاء الموارنة عليها بعد القرن الخامس عشر مستندين في ذلك الى تاريخ البطريرك الدويهي عينه ، ولم نكتف برواية هذا البطريرك المغبوط فقط بل اضفنا اليها بينات اخرى نقلناها عن مخطوطات ثمينة محفوظة في مكتبات الشرق والغرب . ومما لا يسعنا السكوت عنه اننا نقلنا بعض تلك البيّنات عن الخوري بولس قرألي خصمنا عينه ومصداقاً لقولنا نذكر هنا ما كتبه هو في مجلته السورية (مجلد ٥ سنة ١٩٣٠ صفحة ٥١٤) قال ما نصه بحروفه :

« ان الموارنه تفوقوا على السريان .. بل هاجموهم وغنموا اراضيهم وخيراتهم »

خفايا قلوبهم وهي على زعمهم هدم صرح الامجاد المارونية وطعنة نجلاء في صميمها الى غير ذلك من الالفاظ والعبارات المفتعلة التي لا يخفى مغزاها على كل لبيب منحه الله سبحانه هبة التمييز بين الحق والباطل .

اما نحن فقد لبثنا متسلحين « بالحكمة وخوف الله » شعار اسرتنا من قديم الزمان لعلمنا الاكيد بان الحق يعلو ولا يعلى عليه . ومهما قام علينا الاخصام فان كفتنا راجحة باذن الله تعالى . لاننا لا ننشد الا الحق ولا نكتب سوى الحق ولم نصدع طول حياتنا الا بالحق وهو رائدنا في جميع امورنا .

ثانياً — استنقاص الخوري بولس قرألي قيمة كتابنا تمويهاً على عقول السذج

من اولئك الناقمين حضرة الخوري بولس قرألي الذي حاول على صفحات البيرق بتاريخ ٢٦ و٢٧ تموز رقم ٤٧٩٥ ان ينتقص كتابنا ، « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » فراح يكذب ما ادرجناه فيه من الاخبار الصحيحة التي نقلناها عن اوثق المصادر . وافتتح مقاله هذا بعبارات او بالاحرى بمغامز اختلقها ليوهم القراء بان ما يقوله هو هو الصحيح والصواب وان ما كتبناه نحن اختلاق واختراع . ولقد كان الاجدر به ان يستعمل الفطنة والروية بدلا من الحدة والتسرع في الكلام والتمادي في الشطط والمبالغة في التمويه والافتراء مدعياً اننا تعدينا على الطائفة المارونية وبخسنا حقوق رجالاتها واعلامها وتطاولنا على مقادسها .

اما نحن فاننا معتقدون اعتقاداً متيناً ومقتنعون اقتناعاً راسخاً بان كل ما كتبناه في كلا المجلدين من كتابنا المشار اليه قد اسسناه على دعامة مؤرخين موارنة وغير موارنة وروينا ما رويناه من الحوادث على علاتها زيناً كانت ام شيناً . وهذا كتابنا بين الايدي فليطالعه من شاء ان يطالعه وليتبحر في مضامينه فيستدل على تعمقنا في البحث ويستنتج من ذلك كله اننا لم نرو رواية الا اسندناها الى مصدرها الاصلي .

والاديار والاوقاف الخ . فاي منها يا ترى اعتدي عليه او تقوض او سلخ عن الكيان الماروني في وقت من الاوقات ؟ اننا نرى الامر عكس ذلك، نرى اوقاف السريان وكنائسهم واديارهم وكرسي مفريانهم كما ذكر البطريرك الدويهي وكرسي اسقفيتهم وجميع مقتنياتهم قد انتقلت بتوالي الزمان الى الطائفة المارونية. ولم يبق منها حجر واحد او شبر ارض واحد بيد السريان اصحابها القدماء. ولم يخطر ببالهم او ببال من خلفهم ان يطالبوا او يدعوا بها . فما بال هؤلاء المتهوسين ينفخون بالابواق وينادون ويقولون: ان كتابنا طعنة نجلاء في صميم المارونية واننا نرمي فيه الى تقويض صروح امجاد الطائفة المارونية يا له من منطق غريب ويا لها من سخافة في التفكير والتعبير ! !

اما الامجاد الادبية التي يتمتع بها الموارنة . فقد اوضحناها في القسمين الثاني عشر والثالث عشر من المجلد الثاني اذ اثبتنا في اولهما جداول اسماء البطاركة والاساقفة الموارنة مع رؤساء الرهبانية العامين الذين يتحدرون من محتد سرياني. وذكرنا في ثانيهما اسماء العلماء الموارنة الذين يتحدرون من اصل سرياني ووصفنا اشهر تصانيفهم . فاين الجريمة العظمى التي ارتكبناها في هذين الحقلين ونحن ازاء الحقيقة والتاريخ لا سبيل لنا الى الاخلال او التلاعب بهما ؟

لكن المتهوسين الذين اشرنا اليهم انفا يتصورون الحقيقة والتاريخ خلاف ما يتصورها ارباب البحث المدققون والمؤرخون المحققون . فيريدون ان نفهمها طبقاً لاميالهم واهدافهم لا كما يفهمها الرؤساء والعلماء والعقلاء والمفكرون من الطائفة المارونية نفسها ومن غيرها ايضاً . وما هدف المتهوسين في تجسيم تلك العناوين الرنانة والدعايات المصطنعة سوى ذر الرماد على عقول السذج وايقاع البلبلة بين عامة القوم تهييجاً لعواطفهم . بئس المبدأ الذي جروا عليه كي يشوهوا الحقائق وينقضوا التاريخ الصحيح ويخدعوا الشعب باقوال لا نصيب لها من الصحة .

ذلك ما يتوخاه الناقمون على كتابنا من نشر العبارات الفخمة المنطوية على

كنا نحن قد اخطأنا في قضية من القضايا او في رواية من الروايات، فنحن نقر باننا بشر كغيرنا معرضون للنقص والسهو : وانه ما من كاتب او مؤلف مهما بالغ في التدقيق والتحقيق ينجو من غلطة او هفوة في كتاباته .

فعلام اذا هـذه الحملة المفتعلة وهذه الضجة كلها ؟ ولماذا هذا التحامل يبديه ارباب الكهنوت خصوصاً ؟ وعلام الطعن الجارح والكلام اللاذع ؟ اننا بعد كل هذه التصريحات الجلية لا نرى الا ان نصفح عمن يناقض الحقيقة ويشوه التاريخ .

وفي عدد قادم ننشر رداً ضافياً على مقالات حضرة الخوراسقف بولس قرألي ان شاء الله .

الفصل الحادي عشر

نعت الخصوم كتابنا بانه « طعنة نجلاء في صميم المارونية »

اولا – تفنيد هذه المزاعم

(البيرق ٢٠ و ٢١ ايلول ١٩٤٨)

ما كاد ينتشر كتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » بين الايدي حتى قام بعض المتهوسين يجسمون الامور وينادون على رؤوس الاشهاد بالويل والثبور . وراح البعض الآخر ينعت كتابنا بكونه « طعنة نجلاء في صميم المارونية » وقال آخر : ان القصد منه «هدم صرح امجاد الموارنة» ولضيق حجتهم لجأوا الى عبارات طنانة اتخذوها سلاحاً للتهويل وللتأثير عـلى اذهان عامة الشعب الذين تستهويهم امثال تلك العبارات فلا يعودون يميزون غثها من سمينها . بناء عليه هلم نبحث عن تلك الامجاد المارونية التي يرمي كتابنا كما يزعم المتهوسون الى تقويض صرحها . فهي اما مادية واما ادبية . والامجاد المادية كما نعتقد ويعتقد الجميع قائمة بالكنائس

مزاعم اخصام سلكوا هذا المسلك المعوج المستهجن قصد اذلالنا والحط من شأننا . وراحوا بلوغاً الى مآربهم الملتوية يهاجموننا على صفحات الجرائد بطريقة مستنكرة تأنفها الانسانية ويمجها الذوق السليم . وناهيك انهم اخترعوا عناوين ضخمة حشوها عبارات دلت على الغطرسة والكبرياء في قضية بسيطة لا تتناول الا مسائل تاريخية قيدناها بمراجع لا تقبل التأويل . ولم نتعرض فيها لشخص من الاشخاص بمذمة او او نميمة او احتقار البتة .

وقصارى القول ان ما اثبتناه عن الاسر اللبنانية قد ايدناه ودعمناه بمراجع اقتطفناها من مؤلفات مارونية وغير مارونية اشرنا اليها في هوامش الكتاب فليطالعها ويمعن فيها كل من احب الوقوف على الحقائق الجلية الراهنة . على ان الصهيوني مثلاً والحاقلي والدويهي والسمعاني والعينطوريني والدبس وغيرهم من فحول العلماء لم يتفرغوا لكتابة اخبار آل الخازن او آل الحلو او آل ضوء او آل الزغبي وغيرهم وغيرهم .

اما نحن فقد اثبتنا ما اثبتناه نقلا عن مؤرخي تلك الاسر انفسهم . علاوة على ما اقتبسناه من شتى المصادر فهؤلاء المؤرخون ورواة تلك المصادر هم الذين صرحوا بان اصلهم من غسان او من حوران او من النبك والقريتين او من صدد او من عين حليا او من مدن بلاد ما بين النهرين وهلم جراً . ومن المقرر لدى كل المؤرخين الثقات ان البلاد المذكورة لم يشغلها في يوم من الايام قوم من الموارنة على الاطلاق . زد عليه ان الخوري اسطفان البشعلاني نفسه قد صرح بقوله « ليس غريباً ان يكون قد دخل في الطائفة المارونية بعض السريان اللاجئين الى لبنان في ادوار وعصور مختلفة لتقارب اللغة والطقس « البيرق ٢٦و٢٧ تموز ١٩٤٨ عدد ٤٧٩٥ ».

اما نحن فقد صرحنا مراراً ونصرح الان كذلك باننا في جميع ما كتبناه لسنا ندّعي العصمة والكمال ولاسيما في كتاب كهذا انطوى على ٩٠٠ صفحة كبيرة في مجلدين ضخمين لم يسبقنا — فيما نظن — احد من المؤرخين الى تأليف تاريخ مثله . واذا

٥

سواء اكان في مقالاته او في المقالة التي كتبهـا بنفسه ونسبها الى القس بطرس كرباج ، فاننا نأبى الخوض معه في مضمار لا يليق ان ننزل فيه صوناً لكرامتنا . فاذا حاول حضرته ان يصدقه الناس ويؤمنوا باقواله و كتاباته ومدعياته ، وجب عليه ان يقرن القول بالعمل . ونحن نريد ان يدحض تلك الاضاليل ويبـيّن تلك الاوهام ويكشف القناع عما تضمنه كتابنا (في زعمه) من انواع الكذب والخلط والمعايب وان يردها لنا واحدة فواحدة عملاً باصول المناقشة فنكون لحضرته من الشاكرين .

بعد هذه التصريحات الواضحة الصحيحة نطلب من اهـل البصيرة والبصر ان يفتونا في هذه القضية ويحكموا بيننا وبين قوم عاملناهم بكل صدق وامانة . واخلصنا لهم النية اعواماً مديدة .

ثم قلبوا لنا ظهر المجن بين ليلة وضحاها وراحوا يقدحون في مـا مدحوه قبل اليوم وينكرون الان ما اثبتوه في الامس . ولهذا السبب الجأونا ان نبوح بامور وددنا لو بقيت مكتومة في طي النسيان . ولا يغلبن على ظن احد اننا نبالغ في ما نقول، حاشا وكلا، بل انا انما نكتب الحقيقة بعينها لا اكثر ولا اقل. وقد اثبتناها ههنا لتبقى عبرة لمن اعتبر في الجيل الحـاضر وذكرى خالدة يسجلها التاريـخ للاجيال اللاحقة .

اجل يعز علينا ان نرى المبادىء القويمة الطيّـبة تنقلب رأساً على عقب ويصبح الذين نصبوا خداماً للدين يخالفون هذا الروح النقي ويلجأون الى المواربة والرياء . فمن تراه يصدق ان قومـاً اخلصنا لهم النية ووضعنا فيهم الثقة وابدينا لهم ايات الحب والحرمة ، يقدمون على عمل كهذا لا يبرره عذر ولا يقرّه منطق ولا يسلم به عـاقل ؟ فلقد هزأوا بالوعود ونكثوا العهود غير مكترثين للشرائـع الدينية والادبية والاصول العلمية .

انتا نأسف الاسف الشديد لاضطرارنا ان ندافـــع عن كرامتنا وندحض

فكتب بقلمه تلك المقالة التي اثبتناها في الصفحة ٧ الى ١٣ونسبها الى الاب بطرس كرباج كما ثبت لنا بعدئذ، وقد رددنا عليه في حينه وفندنا ما سطره فيها من المزاعم والاكاذيب والاغلاط التاريخية فما كان منه الا ان اعاد الكرة فنشر مقالة ثانية على صفحات الجريدة عينها بتاريخ ٢ و٣ آب عدد ٤٨٠١ ووقعها هذه المرة بامضائه صريحاً هكذا « بقلم الاب اغناطيوس طنوس الراهب اللبناني » وخبط في ما رواه خبط عشواء كالمرة السابقة لانه لم يضمنها كلمة واحدة لها صلة بكتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » بل خالف في ما دوّنه خطة المؤرخين المدققين الثقات .

والبكم ما نفحنا به ايضاً هـذا الراهب اللبنانى للمرة الثالثة بتاريخ ٦ و٧ ايلول الجاري رداً على مقال حضرة الملفان الاب حنا توحجان الدكتور في العلوم الشرقية حيث قال :

« . . . ان الكتاب الطرازي ليس انه حاوٍ « بعض النواقص » فحسب بل هو مجموعة كلها نواقص ومعايب وكتلة من الاضاليل والاخلاط . . . قبح الله الغرض والتحيز كم يعميان الابصار بالعمى والالباب بالتواء النيات ! .. »

فما قول القراء الكرام والباحثين المدققين بهـذا التناقض بين مدح الكتاب وذمه مع ان الكاتب واحد لم يتبدل ولم يتغير وهو حضرة القس اغناطيوس طنوس الراهب اللبناني الذي تعودنا ان لا نسمع منه في مقالاته الا جعجعة دون ان نرى طحناً .

واذا عجز القس اغناطيوس طنوس (ونحن نعتقد ويعتقد معنا اهل التحقيق والتدقيق) عن اثبات ما نسبه الى كتابنا من الاضاليل والاوهام والتزوير والكذب والخلط الخ. فعليه ان يقلع عن الخطة الهوجاء التي سلكها حتى الان بلا فطنة ولا رويّة .

واذا اصرّ الاب اغناطيوس على متابعة الخطة المستقبحة التي عرفها له القراء

ثم حملها حضرته عينه الى بكركي وسلم الى كل منهم نسخته وعاد مبتهجاً حاملاً الينا اجوبة امتنان وشكر من اغلبهم. ولم يقتصر القس اغناطيوس على ذلك، بل راح يعرب عن وفرة ابتهاجه بكتابنا فقرّظه بمقال بليغ دل على تقديره اياه وعلى رضاه عنه واغتباطه بظهوره وهذا التقريظ قد نشرته جريدة «الاحوال» الغراء بتاريخ ٥ حزيران سنة ١٩٤٨ وهذا نصه بالحرف الواحد :

«اصبحت اسرة العلماء والمؤلفين في هذا الشرق على المام كاف بتلك الجهود التي ما فتىء شيخهم العلامة الفيكنت فيليب دي طرازي يبذلها منذ اكثر من ستين حولاً في سبيل العلم والتأليف. وما تلك السلسلة الطويلة من تآليفه النفيسة سوى دليل ساطع على عبقرية يجب ان تدعى بكل حق اخصب عبقرية في ديارنا المشرقية. فهو لا ينتهي من تأليف الا ليتم ما كان قد بدأه وقارب انجازه من تأليف آخر وقد تفرد بالأخص في السنوات الاخيرة باخراج طائفة معتبرة من التآليف نذكر منها : ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب. وخزائن الكتب العربية في الخافقين. والان يتحفنا الفيكنت بكتاب جديد هو «اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان» وهو ذو مجلدين انطوى على ٩٠٠ صفحة وقد نسج فيه على منوال مؤلفاته السالفة من حيث الاستفاضة في البحث وغزارة المادة والعلم والتدقيق. فقد سد بعمله هذا تلك الثلمة التاريخية بما عرف عنه من سعة الاطلاع وسداد الرأي وكثرة الجلد في التفتيش توصلاً للحقيقة. وقد ظل اعواماً طويلة ينقّب في مكتبات الشرق ومخطوطات الغرب حتى فاز بضالته المنشودة وابرز للوجود السفر النفيس الجدير بالثقة والثناء والاعتبار».

ثالثاً — انكار الاب اغناطيوس طنوس «كفرشخنا» ما اثبته هو في مدح كتابنا وانقلابه علينا بالشتم والطعن

غير ان القس اغناطيوس طنوس بعد هذا التقريظ الصريح البليغ الذي كتبه بخطه ونحافظ عليه في خزانتنا، انقلب عما كان عليه من حسن النية والصواب.

الصحيح، وكنا نطلق لكليهما الحرّية في اصلاح ما يعثران عليه من الاغلاط مهما كان نوعها لاننا – كما يعلمان هما ويعلم من عرفنا – لا نتوخى في كل ما نكتبه الا الكمال قدر الامكان. ثم صرحنا لهما بان شكرنا يزداد بازدياد ما يصلحانه من الهفوات او ما ينبهاننا عليه من الاخطاء.

وكان الابوان المذكوران كلما تعمقا في درس كتابنا هـذا، ازداد اعجابهما بمضامينه وكررا المجاهرة بالثناء على جهودنا في خدمة التاريـخ اللبناني. وكانا اذا اجتمعا لدينا وقت الصباح مثلًا وحان وقت الغداء جلسنا معاً الى المائدة واستأنفنا الحديث في موضوع الكتاب عينه ثم كررنا تبادل الاراء بضع ساعات بعد ذلك.

تكررت الاجتماعات طوال تلك الاعوام حتى اطلعا على كل ما يهمهما الوقوف عليه من مواضيع الكتاب ولا سيما الاسر اللبنانية، واقسما بشرفهما انهما موافقان على محتوياته. وكان الخوري اسطفان خصوصاً ينقل عن كتابنا ما شاء ان ينقله دون ان نعارضه في ذلك، لعلمنا ان القضية عائدة الى خدمة العلم والتاريخ. وعلاوة على ذلك فقد اثبت الخوري اسطفان نفسه بعض فقرات علقها بخط يده على كتابنا المشار اليه، فجاءت في غير محلها فضربنا عنها صفحا.

ولم يكن يدور في خلدنا يوماً من الايام ان هـذين الكاهنين يضمران بقلبهما خلاف ما كانا يبديانه لنا ولغيرنا عن رضاهما التام وموافقتهما على مـا اطلعا عليه في كتابنا. فما سبب هذه البلبلة التي احدثاها الان بعد نشر الكتاب يا ترى؟ الم يكن الاولى بهما ان يجاهرا برأيهما منذ الاول ويعدلا عن الالتجاء الى المغالطة والمواربة فيما بعد؟

ثانياً – تقريظ الاب اغناطيوس طنوس لكتابنا وتجنده لنشره

فالقس اغناطيوس طنوس لشديد اعجابـــه بكتابنا تجند بعد نشره بالطبع لاذاعته وترويج سوقه. وهو الذي جعل يشوقنا لنقدمه هدية الى السادة المطارنـة والى كتبة الاسرار في الكرسي البطريركي الماروني. وقد نزلنا عند رغبته ودفعنا اليه عشر نسخ دوّن في كل منها عبارة تقدمة واحترام لصاحبها.

الفصل العاشر

اعجاب الخوري اسطفان البشعلاني والاب اغناطيوس طنوس (كفرشخنا) بكتابنا

(البيرق ١٢ و ١٤ ايلول ١٩٤٨)

اولا — اختلاف الابوين المشار اليهما الى دارنا وتنشيطهما ايانا الى نشر كتابنا « اصدق ما كان »

سبق لنا القول ان الاب بطرس كرباج نشر على صفحات جريدة البيرق بتاريخ ١٣ تموز سنة ١٩٤٨ عدد ٤٧٨٣ مقالاً ادّعى انه يكتبه عن « أهل العلم والتاريخ في الكنيسة المارونية » وقد ضمّنه عبارات مبتذلة شفّت عن كبريائه وقلة تربيته وعدم احترامه لرؤساء الدين ! !

وشاع حين ذاك على السنة الخاص والعام ان كاتب هذا المقال ليس الاب بطرس كرباج المذكور بل القس اغناطيوس طنوس لا غيره . اما نحن فنفينا تلك الاشاعة ولم نصدقها . ذلك لما بيننا وبين القس اغناطيوس من صلات متينة وقديمة يرجع عهدها الى اربع عشرة سنة لم يتخلل صفاءها كدر على الاطلاق. فكان حضرته يختلف الى دارنا مراراً ويستفهمنا عن امور تاريخية شتى كنا نجيبه عنها بدقة وسرور. ثم اطلعناه بدورنا على مضمون كتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » ليتقننا انه من اهل الاطلاع الواسع على الشؤون اللبنانية ولا سيما على ما كان منها متعلقاً بالاسر القديمة. وقد وقف حضرته على مضامين كتابنا هذا واستوعبها ومحصها وبحثها بحثاً شافياً .

وكان القس اغناطيوس ذاته يستصحب اغلب الاحيان صديقنا وصديقه الخوري اسطفان البشعلاني المتخصص بتواريخ الاسر اللبنانية . فكنا نجتمع المرة بعد المرة خلال ست سنوات وندرس معاً اخبار تلك الاسر على ضوء الحقيقة والتاريخ

مصرّين على مزج الحقائق التاريخية المجردة مع الاغراض والغايات الشخصية والطائفية .

فالعلم والتاريخ شيء ، والاشخاص والطوائف شيء آخر. ومن الحقائق التاريخية ما يسرّ ، ومنها ما لا يسر . ولكن لا بد للناقدين اخذها على علاتها دون تحّيز ما .

والمؤرخ الصادق من لزم جانب الحق في كل الاحوال ، دون تحيز او تقيد بنظرية دون اخرى مبدئياً .

وما اجمل ما كان يردد في هذا الصدد ارسطو الفيلسوف عندما كان يغلطه البعض لمخالفته نظريات استاذه وصديقه افلاطون : « وان كان افلاطون صديقي ، فالحقيقة اصدق منه وأعز لديّ » .

هذا ويخّيل اليّ اننا قد توصلنا الى مرحلة من النضج العلمي، والاستقلال المدني والشخصي لا تصدق كلمة المفكر الفرنسي باسكال : « حقيقة ما قبل البيرينه هي خطأ ما بعدها » وليس الحق وقفاً على امة دون اخرى . وان الحقائق التاريخية وليدة البحث والتنقيب، لا الغايات والاغراض والاهواء .

واذا نشر احدهم كتاباً وجب ان ننظر اليه من ناحيته العلمية او التاريخية او الادبية . وكل كتاب ينشر ولا تتبناه او تصدره برسالة تحبيذ سلطة ما دينية او مدنيه ، فانما ينشر ويذاع على عهدة كاتبه ، ولا يعبر الا عن نظره الشخصي فقط . وليس للطائفة او الوطن الذي ينتمي اليه الكاتب ادنى مسؤولية في هذا الامر . فعلام التحرش بالطائفة ورؤسائها .

هذه حقائق اولية كنا نظن اننا لسنا بحاجة الى الادلاء بها . ولا يجب ان نكلف الجماعات في ابداء رأيها في مواضيع دقيقة كهذه، لان هذا الراي لا يجدي نفعاً مهما كان كريماً .

وما اصدق المثل اللاتيني القائل : Quot Capita, tot sensus.

طرابلس ٥ آب ١٩٤٨

الخوري حنا توجان

وبعد ذلك نهض حضرة الخورفسقفوس بولس قرالي واظهر مقدرة انتقادية نادرة تستوجب الثناء . فانه استرعى الانتباه الى بعض مغالط ، وخلط في المستندات التاريخية فشكرنا حضرة العلامة الجليل وتمنينا لو اخذ سعادة الفيكونت هذه الملاحظات بعين الاعتبار في الكتاب الذي وعدنا بنشره . كما ان لدينا معلومات اخرى سندلي بها الى سعادته وليس هنا مجال لذكرها .

ثم جاءت مقالة حضرة الاب اغناطيوس طنوس الذي استعار قلم الاب بطرس كرباج الذي « حالت اشغاله وانحراف صحته دون تمكنه الرد . » وقد كان يكفينا عذر واحد لنعرف ان « الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو . » تكوين ٢٧ - ٢٢ .

وما كان من حضرة الاب طنوس الا ان اعاد النغمة الاولى ولن يكتف بما نقله عن مجلة الشراع ، وطالب رؤساء السريان « ببيان صريح يعبرون فيه عن الراي العام الكريم في ملتهم العزيزة الجليلة حول هذا الكتاب . »

ولا يخفى ان هذه الملة لا تكون عزيزة وجليلة كما ان رأيها العام لا يكون كريماً الا بمقدار ما يوافق اهواء « اهل العلم والتاريخ » الذين يمثلهم خير تمثيل حضرة صاحب المقال ؟؟؟ . . . وقد فات حضرة الاب المحترم ان الحقائق التاريخية تحتاج الى براهين ووثائق ومستندات ، وليست وليدة الرأي العام الذي قد يتلوّن طبقاً لمقتضيات الازمنة والغايات والاغراض السياسية وغيرها .

وهنا نريد ان نصارح اخوتنا الموارنة الاعزاء باننا نفاخر بامجادهم وتقاليدهم ورسوخهم في الايمان الكاثوليكي القويم ، واننا نفاخر بهذه الامجاد خاصة لاننا تجمعنا واياهم اكثر من كل الطوائف اواصر الطقس الانطاكي ، واللغة السريانية ، والقومية الآرامية الشاملة. ولسنا ننسى ولا نتناسى ما لهم من الايادي البيضاء على لفيف الطوائف الشرقية .

ولكننا لا يسعنا الا ان نخالف بعض محترفي التاريخ منهم الذين لا يزالون

الفصل التاسع

الحقيقة والتاريخ شيء والاشخاص والطوائف شيء آخر

(البيرق ٣٠ و ٣١ آب ١٩٤٨)

نشر سعادة الفيكونت فيليب دي طرازي كتاباً لا ننكر قيمته التاريخية والعلمية ، وان كان لا يخلو من بعض النواقص . فتناولت الصحافة وحملة الاقلام في الطائفة المارونية الشقيقة هذا الكتاب بالثناء حيناً ، وبالنقد والذم احياناً . هذا لعمري دليل على المنزلة السامية التي يحتلها الفيكونت فيليب دي طرازي في عالم التاريخ والعلم ، وعلى اهمية النظريات التي عالجها ، والحقائق الجديدة التي اكتشفها في كتابه « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » .

وكان اول من فتح باب الانتقاد صاحب الاسم المستعار، « تخوفاً »، ولا شك، الاب بطرس كرباج . فنعت الكتاب انه طعنة نجلاء في صميم المارونية. ولم يأت ببراهين ومستندات تحط من قيمة هذا الكتاب . بل جلّ ما حاول التهويل به ان كل من يعالج موضوع اصل الموارنة الا من الناحية التي يريدها حضرته وبعض الموارنة ، هو عدو المارونية الالد مثال المطران يوسف داود وغيره . كما « ان كل من يجعل نفسه ملكاً يكون عدواً لقيصر » يوحنا ١٩ — ١٢ .

وهذا لعمري برهان قاطع اكاد اهنيء عليه حضرة صاحب التوقيع الباسل ، « واهل العلم والتاريخ » في كل الاجيال وعند كل الشعوب الذين نسجوا وينسجون على منواله .

فاجاب سعادة الفيكونت فيليب دي طرازي جواباً معتدلا ورصيناً كان له الوقع الحسن عند الكثيرين .

بمقالتك تهشيم كتابي من اوله الى آخره وجعلت نفسك الخصم والحكم في وقت واحد. ورحت تستنجد بعض الاخوان ليشدوا ازرك في هذه الخطة التي يستنكرها العقلاء، لا من الموارنة فقط بل من جميع الطوائف والعقائد.

فاي متى كان الحق ينال بالتهويش والتهييج ؟ ؟ لا بالتروي والمنطق والبحث الدقيق النزيه ؟ فلو افترضنا ان كتابي حوى الاضاليل والاوهام والترهات والزيغان كما قلت وقال بعضهم، فهل تنجلي الحقيقة بالطريقة التي عمدتم اليها ؟ لا لعمري لا ادّعي العصمة في ما اكتبه لان العصمة لله وحده، بل ارحّب مسروراً وشاكراً بكل انتقاد رصين عادل يصدر من اي انسان كان. لاني لا اقصد في كتاباتي ومؤلفاتي الا خدمة العلم والحقيقة. وليست الطريقة التي عمدتم اليها باتخاذ الجرائد ميداناً لنفث السموم وبث الضغائن بالطريقة غير الرشيدة التي لا يليق بخدام المذبح اتباعها في المناقشات العلمية. ولعلّها جرّت الى مشاغبات وفتن زقاقية اذا اتخذنا لها مثالا مقالة الاب بطرس كرباج ؟ ؟ «ممثل اهل العلم والتاريخ في الكنيسة المارونية» والخالدة بادبها والمشهورة بكياستها واعتدال لهجتها ! !

ولعلّ الاب بولس قرألي اراد بهذا التهجم المستنكر ان يقابلنا على دفاعنا الشريف عن كرامته في قضية لا تخفى عليه. فنحن استعملنا الفطنة والشهامة في ذلك الموقف الدقيق عملاً باصلنا ومبدأنا. لا نقول ذلك تشفياً ومجاملةً بل استغراباً لتحامله علينا وعلى كتابنا. فسيان عندنا ايها الاب الفاضل مهما حاولت ان تنال من قيمة كتابنا فلن تستطيع بلوغ اربك. بل سيّان عندنا رضاك او غضبك على هذا المؤلف لان منزلته العلمية سجلها له ارباب الشأن واهل الفضل والعرفان في جميع الامصار التي ذاع فيها وانتشر. ولدينا شهادات من علماء الموارنة ومفكريهم ورؤسائهم ونحن مستعدون لنشرها على رؤوس الملا بخطوط اصحابها انفسهم.

هذا ما رأينا بسطه بكل اختصار. والسلام على من اتبع الهدى.

الفصل الثامن

افتخارنا بأمجاد اجدادنا السريان

نعم اني افاخر باجـــدادي الذين يحتقرهم الاب بولس قرألي. اليس هم الذين خدموا العلم بمؤلفاتهم العظيمة المنتشرة شرقاً وغرباً ؟ اوليسوا هم الذين نقلوا العلوم من اليونانية والسريانية والعبرانية والهندية الى اللسان العربي في عهـــد الخلفاء العباسيين ؟ فهم الذين انشأوا تلك المدارس الشهيرة في قطيسفون وانطـاكية والرها ونصيبين وقنسرين وتلعدا ودير العمر وغيرها وغيرها. اليس هم الذين رفعوا شأن الفضيلة بما شيدوه من عشرات الالوف من الكنائس فضلاً عن اربعمائة وستين ديراً في الصحارى والجبال والاودية منها دير مـار بسـوس العظيم الذي حوى ستة الاف وثلاثمائة راهب انصرفوا الى النسك والعلم والصناعة والزراعة والفنون الجميـلة ؟

وهل نسكت عن ابرشيات السريان الخاضعة لمائة وستين مطراناً في الكرسي الانطاكي ما عدا الابرشيات الراجعة في سياستها البيعية لكرسي مفريان المشرق التابع بدوره ايضاً للكرسي الانطاكي ؟ هذه هي باختصار بعض مفاخر اجدادي الذين ازدرى بهم حضرة الاب بولس قرألي. وبعد هذا فلا لوم عليك اذا كنت تجهل هذه الحقائق ، غير اني على يقين بانك تجاهلتها تعمداً لترشقني وترشق اجدادي بسهام السخرية والازدراء. ثم اوردت في مقالك ما هو بالحرف الواحد : « وقـد اشار البعض ان امسك القلم عن بقية الرد ونرمي كتابه بجزئيه في سلة المهملات... »

فجواباً على ذلك نقول : ان الناقد المنصف يذكر محاسن الكتاب بجانب سيئاته ويعطي لها وصفاً محكماً مدعوماً ببـينات عادلة لا تقبل تأويلاً او تعليلاً. وقدهدفت

فاذا انكرت جميع ذلك فانك تنكر ما اثبته امام مؤرخي الموارنة البطريرك الخالد الاثر اسطفان الدويهي رحمه الله .

فهل تريد يا حضرة الخوري بولس قرألي المحترم ان تدوس الحقيقة وتبدل وجه التاريخ بتكذيب امام المؤرخين المشار اليه ، او تتنصل من الاقرار بسريانية تلك الاسر النبيلة الوافدة من بلدتي « صدد الشرق » و « عين حليا » وغيرهما وكلهم على المذهب اليعقوبي ؟

وهل من عار على الموارنة ان يكون اصل بعض اسرهم يعقوبياً، واليعاقبة هم نصارى متمسكون بتعاليم السيد المسيح ورسله الاطهار .

فان سلمنا جدلا بذلك، فالى اي مذهب او ملة تريد يا حضرة الأب ان يرجع اصل تلك الاسر الوافدة الى لبنان ؟ ؟ افلا تفضل اليعاقبة على الوثنيين وعباد الشمس والنار ؟ ؟

والان اسمح لي يا حضرة الاب المحترم ان اسألك بحرية ومحبة مسيحية : هل لاحد البشر امتياز على سواه او لاحدى الطوائف ميزة على غيرها بحكم الهي ؟ وهل يجوز لانسان مهما علا شأنه ان يحتقر سواه ويزدري به اذا كان من غير ملته او على غير مذهبه؟ وهل يليق ان يخرج عن حدود اللياقة واللباقة في مناقشات علمية صرفة؟ الهذه الاسباب اراك تزدري بي وباجدادي اليعاقبة كل مرة ذكرت هذا الاسم في كتاباتك على صفحات الجرائد ! ! الهذا الحد من التهكم يجيز لك ادبك العائلي وثوبك الكهنوتي ان تستعمل عبارات الاستفزاز والامتهان في حق طائفة مسيحية تعترف انت وغيرك بماضيها الحميد وعصرها الذهبي وتاريخها الزاخر بالمآثر والمفاخر ؟

كتابي بالمغالطات والمغالاة والاوهام والمظان . . . وهو يهدف بمقالته تهييج الافكار وتشويس الخواطر . فاستغربت صدور ذلك من كاهن جليل ومؤرخ معروف يجسم الامور ويغالط النصوص طبقا لاهوائه لا خدمة للحق والعلم والتاريخ. هكذا اقام حضرة الاب قرألي الدنيا واقعدها ليفهم الموارنة اني تجاسرت على القول بان بعض اسرهم تنحدر من اصل يعقوبي . فهذا القول اختلاق فاضح واعتداء صريح ، لان الباحث المدقق يستنكر ما اقدم عليه الاب المذكور من تدوين امور نسبها الينا ولا اصل لها في كتابنا : مثلا لفظة « اليعاقبة » فمن اين ابتدعها وجاء بها ونحن لم نسردها الا مرة او مرتين في كتابنا ذي الـ ٩٠٠ صفحة وذلك على سبيل الاستشهاد بكاتب ماروني . ولو افترضنا ، كما ادعى حضرة الاب بولس قرألي، اني انزلت بعض الاسر المارونية من اصل يعقوبي (وهذا قول مردود من اساسه) فهل في ذلك جريمة عظمى ؟

فهل تستطيع ايها الاب الوقور الانكار ان بلدتي « عين حليا » و«صدد الشرق» سريانيتان وجميع من قطنهما من اصل يعقوبي، وانه لم يقطنهما ماروني واحد منذ بدء الخليقة حتى الان ؟ ؟ .

وهل تستطيع ايضاً انكار قدوم « شاهين المشروقي » جد آل السمعاني وعواد ومسعد والشدياق وفرحات ومطر والحاج وثابت وبركات الخ من « صدد الشرق » وسكنه لبنان هربا من الاضطهاد ؟

وهل تستطيع انكار قدوم الشيخ « جمعة » جد آل الحلو و كيروز والضاهر وغيرهم من « عين حليا » في قضاء الزبداني وسكناه لبنان ؟ .

اتستطيع الانكار ايضاً ان الوفاً من الاسر التي هربت من اضطهاد الفاتحين ثم لجأت الى لبنان من النبك والقريتين وغسان والقنيّة وزغبه والرها وما بين النهرين والموصل واليمن وغيرها وغيرها انما هي يعقوبية المذهب قاطبة وليس اثر للموارنة قديماً وحديثاً في جميع تلك الامصار النائية ؟

ولم يعلن اولئك الائمة عن موقفهم انذرهم بقوله : « ان لكل حادث حديث ، ولكل مقام مقال » .

فيا للوقاحة ويا لقلة الاحترام بمن هو دونهم مقاماً واعتباراً .

وقبل الختام نرى من اللياقـة والواجب في هذا المقام ان نسأل السادة احبار الملة المارونية الاجلاء عن صفة الاب بطرس كرباج الذي يتكلم باسم « اهل العلم والتاريخ في الكنيسة المارونية » ونلتمس من كرمهم ان يتعطفوا علينا بالافادة عن صحة اللقب الذي تذرع بـه هذا الاب حتى نعرف من نخاطب ومـع من نتعاطى والسلام .

الفصل السابع

تفنيد مزاعم الخوري بولس قراألي بتحريرنا أسراً مارونية

من اصل سرياني (يعقوبي)

(البيرق ٢ و ٣ آب ١٩٤٨)

طلع علينا حضرة الاب بولس قراألي المحترم بمقال نشره على صفحات جريدة « البيرق » بتاريخ ٢٦ تموز المنصرم ١٩٤٨ وفيه نقد لكتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » .

ولما كان هذا النقد والرد عليه ، يقتضي له بحث خاص خارج من نطاق هذه الجريدة ، فقد عولنا بحوله تعالى على وضع كتاب يتناول البحث المذكور الذي سننشره في حينه .

ومما لا يصح السكوت عنه الان اتهامه اياي دون سند او اثبات اني شحنت

لمولاها . ومن شاء مراجعتها للتثبت فيما رويناه فان مجموعتهـا محفوظة في دار الكتب اللبنانية .

وعلى غرار « المصباح » جريدة « البشير » الكاثوليكية المحايدة فانها لم تذكر شيئاً مما نسبه هـذا الاب الينا والى المطران الدبس الطيب الذكر من الحكايات الملفقة .

وكان من ادباء الموارنة الذين سمعوا هذا الخطاب في المؤتمر وصفقوا له استحسانا المرحوم الطيب الذكر ابراهيم بن فارس يزبك اللبناني الخطـاط الشهير ومصحح المطبوعات العربية في مطبعة الاراضي المقدسة لذلك العهد وهو من ذوي الحماسة المعروفين بتفانيهم في اعلاء شأن طائفتهم المارونية .

ومن شاء زيادة ايضاح عن هذا الحادث الذي جسّمه الاب كرباج فليراجـع ايضاً سجل اعمال هذا المؤتمر في دير الاباء الفرنسيسيين في القدس الشريف .

ثم اورد الاب بطرس كرباج ؟ المذكور عن كتابنا ما نصه : « هو في نظر كل عادل منصف طعنة نجلاء في صميم الامة المارونية ، بل جريمة منكرة بحقها . . . وراشقا كاثوليكيتنا بسهام الضلال والزيغان بما لا يسعنا السكوت عنه في كل حـال » . اننا نستغرب كيف ان كاهناً يمثل « اهل العلم والتاريخ في الكنيسة المارونية » ? ? ? يقلب الحقائق ويزيف التاريـخ كما شاء وشاءت اهواؤه . فمن اين اتانا بهذه الخزعبلات والمواربات المستنبطة من الاوهام التي يتخبط بها وهذا كتابنا المنتشر بين ايدي القراء يدحض هذه المفتريات التي اراد هذا الاب الصاقنا بهـا . فهو والحالة هذه اولى بها منا .

ومما لا يصح السكوت عنه ان هذا الكاهن قد تجاوز حدود درجته الكهنوتية عندما انذر بطريرك الطائفة السريانية واساقفتها وكهنتها واعيانها كي يعلنوا موقفهم حيال هذا الكتاب وحدّد لهم موعداً لذلك الرد عشرين يوماً حتى اذا انقضت المدة

و٥٢٢) . فما كدنا نلفظ هذه العبارة حتى نهض المطران يوسف الدبس معترضاً عليها. فاجابه الكردينال لنجنيو رئيس المؤتمر مصرحاً له: «ليس هنا محل للاعتراض لان الخطيب يتكلم باسم امير مثلك من امراء الكنيسة.» فجلس المطران الدبس في مكانه ثم قام بعد هنيهة مع الوفد الماروني المؤلف من خمسة مطارنة وخرجوا من باب موقفه الكنيسة عائدين الى حيث كانوا نازلين . وبعد انسحابهم اوعز الينا الكردينال المشار اليه لمتابعة الخطبة الى النهاية . . . فهذه هي الحقيقة التي شوهها الاب كرباج مدعياً بان المطران يوسف الدبس انزلنا بالقوة عن المنبر . ! ! ياللغرابة كيف ان يمثل اهل العلم والتاريخ ؟؟؟ يشوّه وجه التاريخ ! ! !

أتظن يا حضرة الاب ان المطران يوسف الدبس الموصوف برصانته يسوقه الطيش الى انتزاعي بالقوة من منبر كنيسة المخلص الكبرى امام مجلس روحاني شريف لم يشهد الشرق قديماً وحديثاً اعظم وافخم منه ؟ . هذا المجلس الديني الذي جللته المهابة وترأسه كردينال شهير باسم الحبر الاعظم لاوون الثالث عشر يحف به يميناً وشمالا بطريركان واربعون مطراناً والف وستمائة وثلاثون كاهناً وجمهور غفير من جهابذة وسياح توافدوا لحضوره من اربعة اقطار المسكونة . افي مثل هذا الموقف الخطير يبادر حبر مشهور بحكمته وفطنته لاسكات رجل علماني كلفه حبر آخران يلقي عنه وباسمه خطبة صفق لها جمهور المستمعين حوالي الاربعين مرة . . . اذا كانت كتاباتك يامثل « العلم والتاريخ » على هذا النمط من التدقيق والتمحيص فقل على هذا الصدق السلام واتل على الحقيقة آيات الرحمة من الاعماق .

وروى الاب كرباج « ان الصحافة ذكرت هذا الحادث في حينه ومجموعاتها لا تزال بين يديه » . فنحن نستغرب تلك الرواية التي لا اساس لها . فهذه جريدة « المصباح » لسان حال الطائفة المارونية حينذاك وصنيعة المطران يوسف الدبس مغذيها بالمال والجاه والنفوذ ، لم تذكر شيئاً عن تلك الرواية المستنبطة من مخيلة الاب كرباج . ولو كان ذلك صحيحاً لبادرت تلك الجريدة المارونية وعلى رأس ادارتها بطرس الدبس شقيق المطران المذكور فاذاعته على رؤوس الملا انتصاراً

واستطرد حضرة الاب بطرس كرباج ؟؟؟ بلسان اهــل العلم والتنقيب والتمحيص في الكنيسة المارونية ؟؟؟ . مدعياً بلا حجة ولا دليل ان كتابنا مجموعة من الاضاليل والاوهام والفريات والمغامز لا تمت الى اي شيء من الحق والصواب . فكنا نود لو أتانا حضرته ببرهان واحد يشير الى تلك النعوت المستنكرة اثباتاً لمدعاه امام الرأي العام ، ولكن أنى له ذلك وجميع من تصفحوا مؤلفنا جاهروا بارتياحهم الى ما تضمنه من حقائق وفوائد لم تجتمع بكتاب قبله حتى الان .

الفصل السادس

حقيقة موقفنا في المجمع القرباني الاورشليمي

واستيضاحنا اخبار الموارنة الاجلاء : هل يمثل الاب بطرس كرباج

« اهل العلم والتاريخ في الكنيسة المارونية »

أما ما اورده عن المؤتمر القرباني المعقود في اورشليم سنة ١٨٩٣ فقد خـالف فيه الواقع تماماً . والحقيقة هي كما يلي :

عقدت الجلسة الثانية للمؤتمر المذكور في كنيسة المخلص الكبرى اللاتينية وقد كلفنا المطران انطون قندلفت ان نلقي عنه وباسمه خطاباً كان وضعه باللغة العربية وترجمه شقيقه المطران باسيل قندلفت الى اللغة الفرنسية فصعدنا المنبر والقينا تلك الخطبة التي استغرقت ساعة وربع الساعة ، وكان موضوعها عقيدة الكنائس السريانية في سر الافخرستيا ولما أتينا على ذكر الملة المارونية جاء فيها بالحرف الواحد . قد استعمل الموارنة حيناً من الزمن بعض نوافير او ليترجيات غــير كاثوليكية (يؤيد ذلك نافورة القداس المارونية المطبوعة بامر الكرسي الرسولي سنة ١٥٩٤ في عاصمة الكثلكة نفسها ، ويؤيد ذلك ايضاً ما سطره حضرة البحاثة الخوراسقف ميخائيل الرجي في مجلة المشرق مجــلد ٣٣ سنة ١٩٣٥ صفحة ٨١ :

تموز سنة ١٩٤٨ مقالا حشاه بعبارات التهكم والاستهجان طبقاً لما املاه عليه خاطره اللطيف وذوقه الناعم وذلك ترحيباً بكتاب وضعته حديثاً واسميته « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » . وصفه هذا الاب الذي يدّعي انه يمثل « اهل العلم والتاريخ في الكنيسة المارونية » بقوله انه : « طعنة نجلاء في صميم المارونية » ثم اخذ الاب الكاتب يتدفق كالسيل في سرد حكايات عتيقة بالية اكل الدهر عليها وشرب . وبعضها لا صحة له اصلا قد اخترعتها مخيلته . وعلى هذا النمط ملاء اربعة اعمدة من هذه الجريدة لم يدوّن فيها عبارة واحدة في نقد الكتاب وتمحيصه على نور الحقيقة والعلم . انما تناول الطعن في احبار اجلاء وعلماء اعلام تشفياً وازدراء وتحقيراً ، كالبطريرك الذائع الشهرة شرقاً وغرباً في الفضيلة والعلم وصفاء السيرة والسريرة مار اغناطيوس افرام رحماني طيب الله ثراه .

من المعلوم والمتعارف ان النقد الصحيح النزيه البريء من كل وصمة يتناول الكتاب نفسه لا شخص مؤلفه ولا ما لا علاقة له بالكتاب ، ولاجل ذلك ورد في المثل : « انظر الى ما قيل لا الى من قال » . وهلم بنا ايها القاريء الكريم نلقي نظرة اجمالية على ذلك المقال :

افتتح الاب بطرس كرباج مقاله في الطعن بالصحف التي المعت الى كتابنا واتهمها انها نشرت عنه « بدون تروّ تقاريظ مفتعلة ومأجورة » فقوله هذا افتراء صريح علينا وعلى كرامة الصحافة التي افسحت له المجال لانتقاد كتابنا وكان الاجدر ان يمسك هذا الاب القلم عن مثل هذا التصريح الجارح بحق الصحافة التي هي السلطة الرابعة في الدولة . ولم يكتف بهذا بل تحامل علينا ونسب الينا « الدس والطلي على الحقيقة والعلم والمنطق والبرهان والاعتداء الجلي على الكرامة » . « لاننا اهدينا كتابنا هذا الى المراجع الدينية المارونية » فهل يا ترى اخطأنا في هذا الاهداء البنوي ، وقد عاملنا بالمثل جميع المراجع الدينية لدى سائر الطوائف ، وذلك شأننا في اهداء مؤلفاتنا السابقة وخزائن كتبنا الشخصية كما هو معلوم لدى الخاصة والعامة .

الفصل الرابع

الاب بطرس كرباج يتهدد رؤساء الطائفة السريانية

« ليحددوا موقفهم حول كتابنا والا ... ! »

ثم تابع الكلام بقوله :

«لذلك،وقبل الشروع في دحض هذا الكتاب، وردّ اضاليله واكاذيبه، وربما ظهر لبعضنا بعض ردود انفرادية مسبقة ضده ، في الجرائد والمجلات ، نطلب الى صاحب النيافة والسيادة والاعيان، في الطائفة السريانيـة الكاثوليكية الكريمة ، وبنوع اخص حضرة الاب ارملة ، تصريحاً رسمياً عـلى صفحات هذه الجريدة ، يتكرمون فيه باعلان موقفهم الحقيقي حيال هذا الكتاب، حتى اذا مرّ عشرون يوماً ايضاً على سكوتهم، يكون لكل حادث حديث، ولكل مقام مقال ، ورحم الله من عرف حده ووقف عنده والسلام . »

بيروت ١١ تموز ١٩٤٨

عن اهل العلم والتاريخ في الكنيسة المارونية
الاب بطرس كرباج اللبناني

الفصل الخامس

خلو مقال الاب بطرس كرباج من كل صبغة تاريخية وعجزه عن اثبات ما عزاه الينا والى كتابنا من الاضاليل والاوهام

(البيرق ١٩ و٢٠ تموز ١٩٤٨)

نشر حضرة الاب بطرس كرباج المحترم على صفحات هذه الجريدة بتاريخ ١٣

الفصل الثالث

الاب بطرس كرباج يدعي ان كتابنا هو « طعنة نجلاء في صميم المارونية وجريمة منكرة بحقها ! ! »

ثم اردف يقول :

« اجل ان كتاب الاستاذ طرازي هذا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان ، وصفحة من اخبار السريان » لهو في نظرنا – كما في نظر كل عادل منصف خبير – طعنة نجلاء في صميم امتنا المارونية ، بل جريمة منكرة بحقها ، اقترفها حضرته مع من عاونه متعمداً اذيتنا باسلوبه الطلي الناعم ، والنحت من اسلتنا ، ملصقاً بنا ، بلف ودوران ومكر ودهاء ، فساد الاصل في عقيدتنا الايمانية ، وراشقاً كاثوليكيتنا العزيزة السليمة – منذ ابينا القديس مارون الى الان – بسهام الضلال والزيغان ، مما لا يسعنا السكوت عنه في كل حال ، على رغم ما يربطه بنا من صداقة شخصية . وعليه قد عقدنا – نحن اهل العلم والتاريخ في الامة المارونية – خناصر العزم على دحض هذا الكتاب بكتاب نظيره ، على ضوء العلم والحق ، ونوليه ما اولى الدبس « الحجج الراهنة » من الحظ والمصير .

بيد اننا ، وقد مر على ظهور هـذا الكتاب المفتعل اكثر من شهرين ، وهو لم يزل مكتنفاً بسكوت مطلق ، ان من قبل صاحب النيافة الكردينـال تبوني بطريرك الامة السريانية الشقيقة الجزيل الطوبى ، وان من اساقفتها وسائر اكليروسها واعيانها الموقرين ، اعتبرناه نحن معبراً عن رأيهم فيه ورضاهم عنه ، وعددناهم مؤيدين له ومشجعين على وضعه ونشره ! »

والجهد العنيف وكل قواه ، ويستنصر الاعوان الذين في طليعتهم ، ولا شك ، البطريرك الرحماني، للحمل جديداً، وبمنهاج جديد على تاريخ الموارنة فكانت النتيجة الاخيرة النهائية من كل ذلك ، كتابه هذا ، موضوع احتجاجنا واستنكارنا الان . وقد حشاه بكل ما يتمنى قلبه وقلب معلميه الدارجين ، داوود والرحماني ، من الافتئات على العقيدة المارونية الكاثوليكية الصحيحة، فارجع الى السريان اليعاقبة، ارجاعاً مفتعلاً مختلقاً ، كل ما في لبنان من تاريخ ومجد ، وانزل من اصلابهم اليعقوبية اعظم الاسر المارونية واكثرها خلاءاً من اي حجة وبرهان ، وبمنتهى الدس والمكر والدهاء، قاصداً من كل ذلك قلب الوضع الماروني الراهن، ابن الف واربعمائة سنة، رأساً على عقب، وهدم كيانه الاصيل مزدريا بالعلم المارونيواعلامه الافذاذ القديسين كل الازدراء .

ويعتقد الفيكونت دي طرازي انه « اخترع البارود » في كتابه هذا، وحالفه النجاح فيه، واهماً ان الفرصة مؤاتية لنفث هذه السموم اليوم ، واثارة حملة معلمه المطران داوود التي لن يأبه لها احد،بعد ان مر عليها الزمان وغلفتها طوايا النسيان، فاصبحت يجهلها ابناء هذا الجيل ! فجاء هو يبعث رميمها مغلفة باساليب العلم والدس والطلي ، وفاته ان رفات الدبس الطاهر هو ذلك الخمير المقدس اختمر به ترب لبنان فانبت للعلم الراهن والتاريخ الصادق جمهرة دبسية صالحة ، كل فرد منها قمين ان يواصل مشروع الدبس المقدس ، ورسالته الشريفة في الذب عن حياض المارونية ، ورد مكايد العداة الى نحورهم وهي صاحبة لبنان الاولى والاصلية ، وبانية مجده العريق التليد واستقلاله ، وحامية ذماره ، منذ القرن الخامس الى الان ، والساقية ثوابه بدماء شهدائها على توالي الاجيال .

وقد علمنا ايضاً ان حضرة العالم المؤرخ الخوري اسحق ارمله السرياني قد ساهم في وضع هذا الكتاب على مدى وسيع ، وحرره بخط يده ، في حين كنا نربأ به ان يتورط في هذه الحمأة ، لخلو جميع كتاباته ومؤلفاته المطبوعة باسمه من اي مساس يؤذي الموارنة، وقد كان دوماً يبدي التودد اليهم في كل فرصة، ويتحاشى اذاهم.. فعلام الطعن من الوراء ! !

وادعى، ووهم واختلق من الفريات والترهات، في كتابه « الحجج الراهنة في ابطال دعوى الموارنة » وهو مجموعة محشوة من السفاسف والفريات والخزعبلات... وذلك تكذيباً خطياً رسمياً احتفالياً، بالعربية والايطالية والفرنسية، امام السلطات الرومانية، وقد حرم البابا لاوون ١٣ ذلك الكتاب المزور الموبوء، وحرم نشره وطبعه الى الابد، مما ارغم مؤلفه المطران داوود على ابقائه طي الخط والخفاء. وقد اثبت علامتنا الدبس ذلك التكذيب بالايطالية في « روح الردود » الافرنسي، مما سنبرزه في فرصة قريبة.

ومات المطران داوود مقضياً على فكرته واحلامه وجهوده القضاء المبرم، على ما لا يزال يعرفه الكثيرون حتى اليوم واسدل ستار كثيف من السكون والتناسي على فشله مع اعوانه « الجبابرة ».

ولكن الشيطان الرجيم لا يموت ولا ينام. بل ظل يوسوس البطريرك الرحماني، وفيليب طرازي، ولغيرهما في طي الخفاء، للحؤول دون ضياع جهادهم وجهاد معلمهم المتوفي. وهم لا يجرؤون على شيء من ذلك، في حياة البطـــل الدبسي، فتربصوا كالنار تحت الرماد، ريثما استأثرت به رحمة الله بميتة القديسين (٤ ت ١ ١٩٠٧)، فنشروا بالطبع كتاب « الحجج الراهنة ... »، هازئين وضاربين عرض الحائط بامر البابا وبصداقة الموارنة وافضالهم، وخانعين للحكم القائلة « اكل خبزي ورفع عليَّ عقبه — وملعون من يشرب من بئر ويرمي فيه حجراً ».

وبما ان « الحجج الراهنة » كان مشهوراً امره بما اكتنفه من ظروف معلومة حينذاك، اولاه علماء الموارنة، وغير علماء، عدم الاكتراث والمبالاة، حين ظهوره مطبوعاً، فكان صرخة في واد، ونفثة في هواء، ورقماً على ماء، ولم يأت بالنتيجة المرجوة...

الا ان فيليب طرازي لم ينم على ضيم بعد هذا الاخفاق الذريع الجديد ايضاً. بل راح يكرس حياته الطويلة، ويعد العدة من جميع الوجوه، ويستكد القريحة

اجل ، ورأينا هذا الكتاب ايضاً ايقاظا وتجسيماً، وتعزيزاً وتوسيعاً ، لفكرة المطران يوسف داوود والمنحاز من طائفـة الكلدان الى ملة السريان والدّ عدو للموارنة عرفه الزمان، وقد قضى حياته باذلا كل ما في وسعه من حيلة وجهد لهدم الامجاد التاريخية والايمانية للكنيسة المارونية، حاضنة الامة السريانية الكريمة ، ومربيتها في مهدها الكاثوليكي، والعاملة الاولى والعظمى والفعالة على هديها الى الكثلكة ، وتدعيمها فيهـا وحماية ذمارها . ولولا الموارنة لظل اخوانهم ، هؤلاء السريان الاعزاء، يعملون في اضاليل « اليعقوبية » وارتقائها الى اليوم .

وكان للمطران داود انصار مساهمون في حملاته ومناوراته وافتراءاته المضللة، كالقس لويس الصابنجي السرياني، صاحب مجلة « النحلة » التي انشأهـا خصيصاً للطعن والقذف في الامة المارونية، والبطريرك مسعد والمطران الدبس، وقد انتهى به الامر الى خلع الكهنوت، فكفر بالدين المسيحي ، ومات كافراً متهتكاً متمرغاً في الادناس ! ! وكالاستـــاذ فيليب طرازي « مؤلفنا المشهور » الذي من ابرز مظاهراته للمطران داوود ، خطابه باسم طائفته السريانيـــة في المؤتمر القرباني الاورشليمي الانف الذكر، وقدتصدى له المطران الدبس اذ ذاك مقاطعاًفاسكته وانزله بالقوة عن المنبر، واعتـلاه هو في الحال فاحتج لدى هيئة المؤتمر ورئيسه الكردينال لونجينو، ممثل قداسة البابا ، واستنكر ذلك الافتراء والتهم على تاريخ الموارنةوايمانهم السليم،وفنّد الخطاب جملة جملة،متدفقاً كالسيل علماً وحجة،ومنطقاً وبلاغة، مما سمعه بعضنا باذنيه وشهده بعينيه، ولهجت به حينئذ صحافة الشرق والغرب مكبرة علم الدبس وعظمته ونبوغـــه، وكان من الانصار « الداووديين » ايضاً البطريرك الرحماني المثلث الرحمات مساهماً في الكيد للموارنة من وراء الستار .

على ان المطران داوود كان في كل مجهوداته، مع اعوانه المذكورين « كناطح صخرة ... » حيال بطولة خصمه العظيم المطران الدبس ، الذي دحض اضاليله واكاذيبه في كتابه الشهير « روح الردود على الخوري يوسف داوود » بالعربيـة واللاتينية والفرنسية، واضطره امام الكرسي الرسولي الى تكذيب كل ما كتب

اما غرض الاستاذ طرازي من كل هذه البوادر – كما هو غرضه من وضع تأليفه هذا ونشره على ما سيجيء ، فهو الدس والطلي عـلى الحقيقة والعلم ، والمنطق والبرهان ، والاعتداء الجلي على الكرامة ، واهماً انه يجيز ذلك عـلى ذوي العلم والتحقيق كما على السطحيين والساذجين .

الفصل الثاني

الاب بطرس كرباج يتهمنا باننا شاركنا البطريرك الرحماني في « هدم الامجاد التاريخية والايمانية للكنيسة المارونية »

ثم واصل الاب بطرس كرباج كلامه قائلا :

«اما نحن – اهل العلم والتنقيب والتمحيص في الكنيسة المارونية – فقد اطلعنا على هذا الكتاب المهدى الى معظمنا ، فاذا هو ، والحق يقال، مجموعة من الاضاليل والاوهام، والفريات والمغامز ، لا تمتّ الى اي شيء من الحق والصواب . كنا نجل الفيكونت دي طرازي – صديق جميعنا تقريباً – ان يلطخ شيخوخته الطاعنة، ويختم جهاده الطويل في حقل العلم والتأليف ، بمثل هذا الكتاب !

لكننا لم نستغربه عندما استعرضنا مواقف مؤلفه العدائية للتاريـخ الماروني وامجاده، منذ المؤتمر القرباني المنعقد في القدس الشريف سنة ١٨٩٣، الى الان وبعضنا قد شهد ذلك الموقف الافترائي السرياني المفاجيء ، وما كان حياله من نابغتنا الشهير الكبير المطران يوسف الدبس – طيّب الرب مثواه في ابديته – ، على ما نشرته الصحف اذ ذاك، ولم تزل مجموعاتها بين ايدينا ، وما فتئت الالسن والتقاليد تردده الى الان، مما سنبيّنه قريباً ان شاء الله تعالى .

الفصل الاول

الاب بطرس كرباج يشجب بلا تروٍّ كتابنا « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » وينسب اليه زوراً الاضاليل والاوهام الخ

(عن جريدة البيرق ١٢ و١٣ تموز ١٩٤٨)

قال حضرته : لقد نشرت بعض الجرائد مؤخراً ، تقاريظ بليغة « مفتعلة » لكتاب اخرجه حديثاً حضرة الاستاذ الفيكونت فيليب دي طرازي السرياني ، موسوماً بعنوان « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان — وصفحة من اخبار السريان » .

على ان الجرائد المعهودة — وكلها كريم نبيل — لا شأن لها ، ان في الكتاب ، وان في ما نشرت من تقاريظ له . فانها لم تقرأه ، ولم تدرسه مدققاً على ضوء العلم والتحقيق . بل تلقت تلك التقاريظ من مصدرها مباشرة او بواسطة ، ونشرتها تلطفاً وتأدباً حيال المؤلف الشهير نظراً لمكانته العلمية وكثرة مؤلفاته وشيخوخته .

وعلى هذا الغرار درج ايضاً مدبجو تلك التقاريظ « الطرازية » وهم انما كتبوها نزولا عند طلب المؤلف والحاحاته لقاء بعض اكراميات واجور ، ترويجاً لكتابه وايجاداً لحركة تأييد له واغراء به .

واهدى الفيكونت دي طرازي كتابه هذا الى غبطة مولانا البطريرك مار انطون عريضه الكلي الطوبى ، كما الى سائر حاشيته الموقرة ، من احبار وكتبة اسرار ، وغيرهم من الاصدقاء والعلماء . وبادر كل من هؤلاء ، فور وصول الكتاب اليه ، وقبل ان تسمح له اشغاله بقراءته ، فكتب الى « المؤلف الصديق » كلمة شكر على هديته ، عملاً بشرع الادب والتهذيب ، على ما هو شأن الكرام حيال من اهدى هدية اية كانت .

متحدرون من اجداد هراطقة(١) ! تلك ولعمري اكذوبة صريحة ليس بعدها اكذوبة . وقس عليها اكاذيب شتى من طرزها المعنا الى بعضها في ردودنا .

وقد صرّحنا كذلك في كتابنا بالاسر السريانية الاصل اسرة فأسرة وبما تشعب منها شعبة فشعبة . وذكرنا انتماءها الى الطائفة المارونية شقيقة طائفتنا السريانية بمحتدها ولغتها وطقوسها وعاداتها . ثم اوردنا اسماء العلماء الاعلام الذين برّزوا في تلك الاسر وانبثقت العلوم والمعارف من افواههم العسجدية انبثاق اشعة الفجر فاناروا الاذهان. وثقفوا العقول وهذبوا الاخلاق واصبحوا ممن يشار اليهم بالبنان نظراً الى نبوغهم وجهودهم وتصانيفهم الخالدة. نذكر منهم بافتخار : آل السمعاني وعواد وفرحات ومسعد وشدياق والدويهي والخازن الخ الخ. وقس عليهم رجالات معدودين ومشايخ ومقدمين واعياناً مشهورين ممن تفتخر بهم الامة المارونية وسائر الامم الراقية على كرور الاجيال .

تلك آثار اجدادنا السريان ومآثرهم الخالدة استحقرها الخوري بولس قراألي وزملاؤه وانكروا الثمار الشهية التي لذذوا بها لا الطائفة المارونية فقط بل العالم طراً. وشتان ما بين اولئك الجدود الميامين وبين المغول او التتر جدود الخوري بولس قراألي الذين دمّروا بلاد المشرق واقترفوا من الفظائع والفضائح ما دونه التاريخ بحروف دموية !

وهل ظن الخوري بولس وزملاؤه انهم بكتاباتهم هذه السخيفة أصطنعوا جميلاً عن طائفتهم المارونية ؟ كلا ثم كلا ! بل بالعكس اساؤا الى رؤسائها الاجلاء وعقلائها الفضلاء وجهابذتها الاعلام الذين اعتبروا الطائفة السريانية شقيقة طائفتهم المارونية كما قلنا. وهم يستنكرون كل من يخالفهم في اعتبارهم هذا السديد واعتقادهم الراسخ . وسيأتي يوم قريب ان شاء الله تعالى فتنكشف الحقائق على جليتها ويعلم اولئك المتسرّعون انه كان الاجدر بهم ان يتّبعوا في ما يكتبونه خطة التروي والحكمة والانصاف والاعتدال . سدد المولى تعالى خطواتنا وخطواتهم في سبيل الحق والرشاد آمين .

---

(١) راجع جريدة البيرق : عدد ٤٨٢٠ تاريخ ٢٠ و٢١ ايلول الخ .

مناظرنا الخوري بولس قرألي نفسه في تعاليقه على زجلية المطران جبرائيل القلاعي التي اعتبرها هو « صفحة ذهبية في تاريخ الامة المارونية » .

غير انه ما كان يصدر كتابنا هذا معززاً بصحة رواياته وصدق اسانيده حافلاً بغزارة موادّه وامانة نقوله حتى نهض اولئك الكهنة كالاب بطرس كرباج والاب اغناطيوس طنوس (كفرشخنا) والخوري اسطفان البشعلاني ولا سيما الخوري بولس قرألي وغيرهم يحاولون دحض محتوياته وينسبون الينا اموراً استغربنا صدورها من كهنة اقامهم الله تعالى «ليقطعوا كلمة الحق باستقامة»(٢طيم٢:١٥». فلو تحرّوا انتقاد الكتاب انتقاداً صحيحاً نزيهاً لاستحقوا الثناء منا واستوجبوا شكر القرّاء خاصّتهم وعامّتهم .

ولما كان رواد الحقائق التاريخية وروّام المباحث الصحيحة الحوا علينا لننشر ردودنا على افتراءات الناقدين كي يتبينوها ملياً ويقابلوها مقابلة المفكر الصادق المنزّه عن كل تغرّض رأينا ان نلبي طلبهم باصدار مجلد ثالث نلحقه بكتابنا المشار اليه اسميناه « رد العسف والبهتان عن كتاب اصدق ما كان » . ليقفوا على خلاصة ما اورده الخصوم من عبارات الافتراء مدعين ان ما اثبتناه خصوصاً عن الأسر المارونية المتحدرة من عنصر سرياني لا اثر له من الصحة والصواب .

ومما ساءنا جداً ان الخوري بولس قرألي خصوصاً لم يتقيد البتة في كتاباته بما تفرضه المناقشة العلمية ومن الصدق والنزاهة في سرد الاخبار والحوادث وما تتطلبه الحصافة من الحرص على الامانة في النقل. لكنه شحن كتاباته من اولها الى آخرها بما يخالف الحق الصراح وحشاها مواضيع غريبة بعيدة عن مواضيع كتابنا بُعد الثريا عن الثرى ذلك فضلاً عمّا خطه قلمه تبعاً لغرضه ومصلحته من التشابيه والنعوت التي لامه عليها ارباب الذوق والادب . وكان الخليق به ان يكفّ عن مثل هذه الاساليب الممقوتة خدمة للتاريخ الصحيح وصيانة للشرف الكهنوتي . ولكنه ابى الا ان يتهمنا في عناوين مقالاته الضخمة « بالشتم والتحريف والمغالطة » في حين اننا لم نقابله على تلك النعوت الا بكل دقة ولطف احتراماً لكهنوته . وادّعى في ما ادعاه اننا قلنا ان الموارنة باجمعهم دون استثناء احد منهم هم

و « خزائن الكتب العربية في الخافقين » في ثلاثة مجلدات . و« عصر السريان الذهبي » و « ديوان قرّة العين » و « اللغة العربية في اوروبا ثروتهـــا ومكانتها » و« المخطوطات المصورة والمزوقة عنـــد العرب » و « القرآن : بحث علمي تاريخي اثري » و« علاقات ملوك فرنسا بملوك العرب » وغيرها وغيرها من المؤلفات التي تهافت على اقتنائها ومطالعتها جماهير الادباء والعلماء في الامصار الشرقية والغربية وكتبوا الينا رسائل الثناء عليها معربين عن اعجابهم بها واستفادتهم من مضامينها ومباحثها المبتكرة .

وتمشينا طبقاً لنفس الخطة في مؤلفنا الجديد « اصدق ما كان » المشار اليه . فاصدرناه في ثلاثة مجلدات . وضمّناه اخباراً وحوادث لم يتسنّ لكاتب قبلنا ان يدوّن او ينشر نظيرها في ما نعهد . وهو ثمرة جهود متواصلة كابدناها مـدة تربي على الخمسين حولا قضيناها في درس عميق وتنقيب متواتر حتى منّ المولى الكريم علينا بان ننشره في شيخوختنا . ومما اثلج صدرنا وآنسانا بعض اتعابنا ان جمهوراً من اهل الادب والبحث اقبلوا عـــلى اقتنائه وتصفحوه واسترشدوا بمواضيعه السديدة . واعجبوا بها كل الاعجاب وبعثوا الينا برسائل الاستحسان والارتياح. وبالجملة فان هذا التاريخ اللبناني الجديـــد احتل مركزاً استحق الاعتبار ولفت الانظار والافكار . ولاسيما لاننا اعتمدنا في ما رويناه واثبتناه على مؤرخين اعلام صادقين شهد لهم اساطين العلم بالدقة في الاخبار والصحة في الرواية : كزكريّا البليغ ويوحنا اسقف اسيا ويعقوب الرهاوي وديونيسيوس التلمحري وابن الصليبي والبطريرك ميخائيل الكبير والمؤرخ الرهاوي والمفريان ابن العبري . فضلاً عمـا اقتبسناه عن علماء الاستشراق وعن عدة مخطوطات قديمة ثمينة مكنوزة في اشهر مكتبات الشرق والغرب .

ولم نستثن مراجعة تآليف مشاهير مؤرخي الموارنة كالبطريرك اسطفان الدويهي والسماعنة واسطفان عواد والعينطوريني والبطريرك بولس مسعد والمطران يوسف الدبس والمطران يوسف دريان والشيخ شيبـــان الخازن والشيخ طنوس الشدياق الخ . كما اننا لم نغمض عن الاستشهاد بمؤرخي الأسر المارونية وعما رواه

مقدمة

ما كاد يبرز للوجود كتابنا «اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان» حتى رحّب به اهل البحث وروّاد العلم واطّلعوا على مضامينه وانزلوها منزلة الاستحسان والاعتبار . ونشر ارباب الجرائد والمجلات نبأ صدوره معربين عن ارتياحهم لما احتواه من جم الفوائد التي قلّ من دوّن مثلها عن لبنان قبل الآن .

غير ان بعض الكهنة نهضوا يندّدون بهذا الكتاب ويقذفونه بضروب المعايب والنقائص والاضاليل ، واخذوا يتحاملون عليه وعلينا بشتى الاساليب المستنكرة . ولم يقتصروا على ذلك بل نسبوا الينا اقوالا لم تخطر ببالنا ولم ندوّنها في كتابنا المشار اليه على الاطلاق .

هكذا ظلوا سائرين في مناقشتهم سبعة شهور كاملة يخبطون خبط عشواء في مناقشة تاريخية جدّية مستسلمين فيها الى المثالب والسخريّات فضلاً عن افترآتهم على الشخصيات .

وغير خاف ان المناقشات الادبية والعلمية والتاريخية لا تقوم بالتشويش واثارة الضغائن بل بالبحث العلمي الصرف والتقيد بالاصول المنطقية المرتكزة على دعامة التمحيص والنقد الصحيح . فكل ما خرج عن هذه القاعدة لا يصلح ان يكون قياساً للوصول الى الحقيقة .

اما نحن فقد اتّبعنا — والحمد لله تعالى — في جميع كتاباتنا ومؤلفاتنا خطة الاعتدال والحكمة طبقاً لشعار أسرتنا منذ قديم الزمن . ولم يتصدّ احد لنقدها او الاعتراض على مضامينها سواء أكانت تاريخية ام علمية ام ادبية ام فنية نذكر منها : « القلادة النفيسة » في عشرين لغة و« السلاسل التاريخية » و« تاريخ الصحافة العربية » في اربعة مجلدات و « ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب »

ردّ العسف والبهتان

عن

كتاب أصدق ما كان

بقلم

الفيكنت فيليب دي طرّازي
مؤسّس دار الكتب اللبنانية
والعضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية

وهو

المجلد الثالث

لكتاب

أصدق ما كان عن تاريخ لبنان

وصفحة من أخبار السريان

